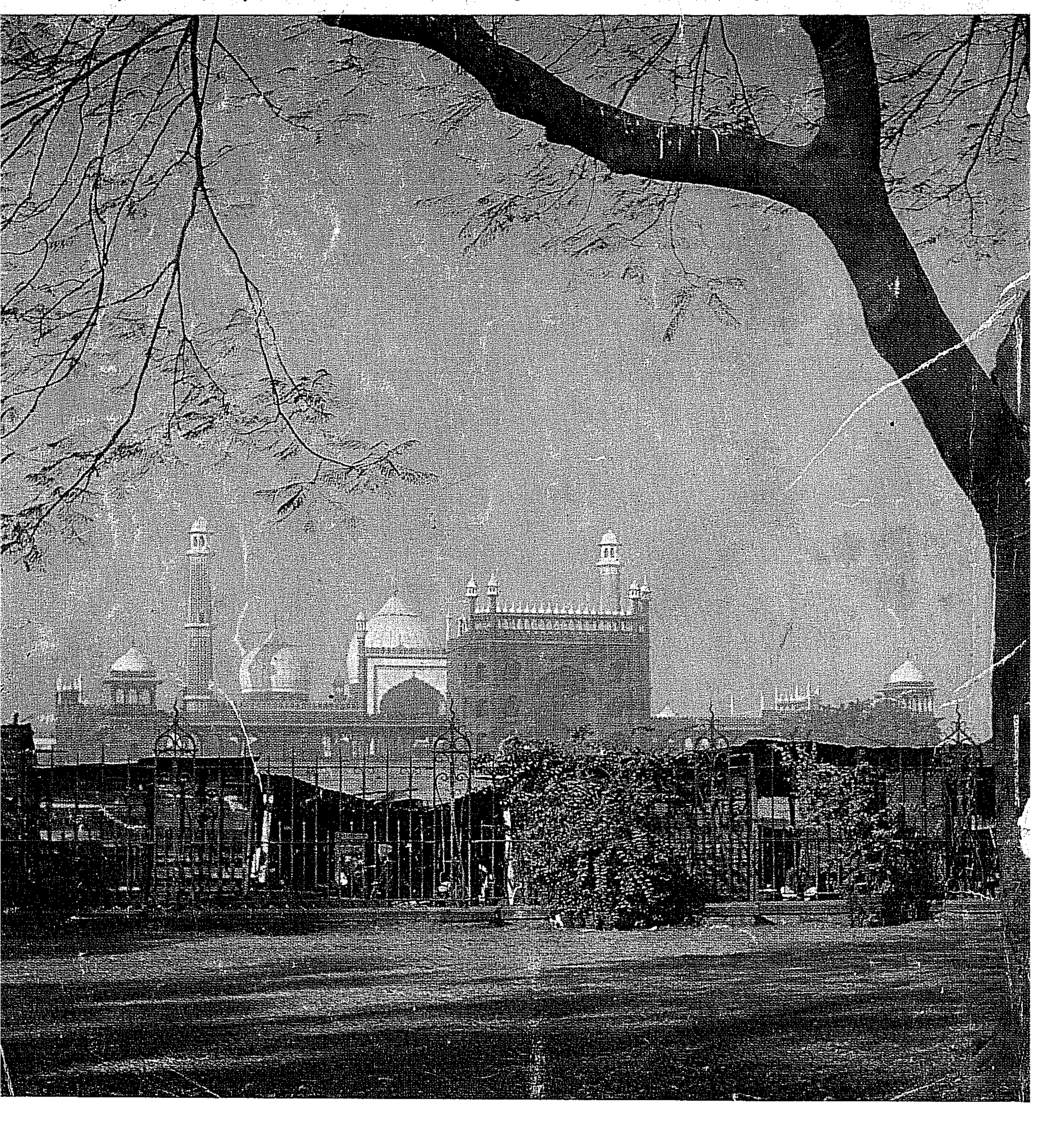
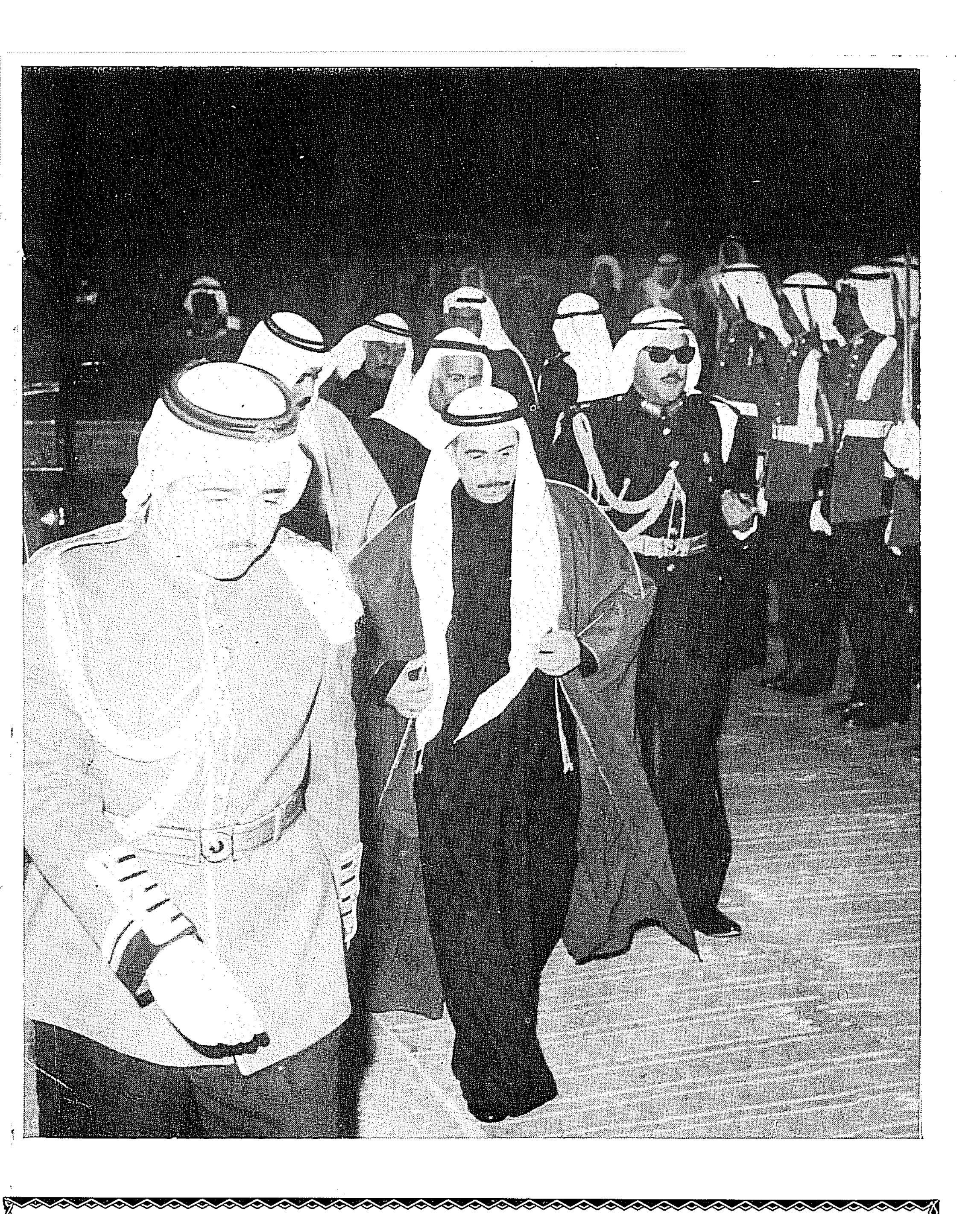
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

رسالة الحج
هديتك
مع هذا العدد

السنة الثانية ـ العدد الثالث والعشرون ـ غرة ذى القعدة ١٣٨٦ هـ ـ فبراير ١٩٦٧م





سمو امير البلاد المعظم فى طريقه الى مسجد السوق الكبير لصلاة عيد الفطر المبارك

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثالث والعشرون ـ السنة الثانية
غرة ذى القعدة سنة ١٣٨٦ هـ
١٠ من فبراير (كانون الثانى) ١٩٦٧

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

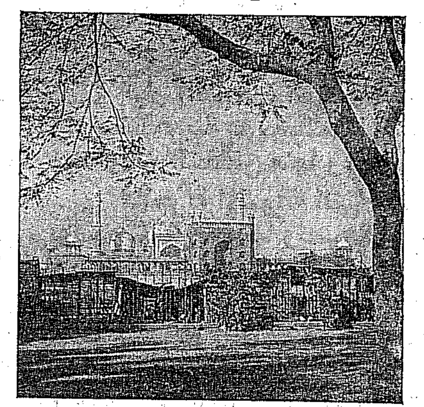
المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
على عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



المسجد الجامع بدلهى شيده الامبراطور شاه جيهان ١٥٦٠ ـ ويعد هذا المسجد من أفخم المساجد وأرحبها فى الهند ويتجلى فى بنائه جمال الفن وروعته .

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ـ الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٢٠٨٨



بسم الله الرحمن الرحيم

تيار الحضارة الغربية الذى جرفنا فى طريقه حمل الينا فيما حمل تقاليد وأوضاعا غريبة على مجتمعنا أو سموما سممت أفكارنا ، ولوثت حياتنا ، وشغلتنا بمحاولات التخلص منها وعلاجها ...

فالحرية المشوهة التى أخذت المرأة الشرقية عندنا أو المسلمة بالذات تنادى بها ، وتشكل حياتها وتصرفاتها على قالبها ، والتقليد الاعمى للانطلاق الاثيم لكل من المرأة والرجل فى الغرب ، كل هذا أورثنا مخلفات ، أو جعل فى جسمنا الاجتماعى بثورا وقروحا لم نكن نعرفها على هذا الوضع من قبل ..

كنت منذ أيام أتحدث مع زائر عن بعض هذه المخلفات أو هذه البثور .. عن ظاهرة تزايد اللقطاء عندنا فى البيئات المسلمة ، وازدحام الاماكن المخصصة لهم وضيقها بهم .. وعن المحاولات التى يجب أن تبذل لتربية هؤلاء وتنشئتهم ، ثم حمايتهم من العقد الاجتماعية ، التى يمكن أن تنشأ معهم ، ولم أجد نفسى منطلقا مع الزائر فى رسم العلاج المناسب لحال هؤلاء . بل توقفت . وقلت : سبحان الله نستسلم تماما للأمر الواقع . ونترك ((الميكروب)) يتفشى فينا .. ثم نبحث عن الدواء للمريض !!

اليس من البدائه المقررة لدى الجميع ((أن الوقاية خير من العلاج))

نترك القوانين بل نضعها لتحمى الحرية الاثمة الفاجرة .. ونتهاون نحن تحت ضغط ما يسمى بالمدنية فى اتخاذ أساليب الحماية والوقاية .. حتى نجد أنفسنا فى مأزق نحاول الخروج منه !!

نترك الطوفان يجرف ويعربد ، ثم نبحث عن الضحايا الابرياء !!

لا .. ليس هذا هو المنطق ..

ان المنطق يحتم علينا أولا أن نهتم بأصل المشكلة ، بمنبع الداء .. فنحاول اجتثاثه ، أو تضييق مجراه على الاقل ..

أما أن نترك أنفسنا للتيارات تتلاعب بنا ، وتقذفنا يمينا وشمالا فهذا غير معقول ولا مقبول ..

ان علينا أن نبحث عن السبب فى تزايد هؤلاء الابرياء فى أوساطنا الاسلامية .. ونقضى على كل سبب نعرفه ونتخلص منه ..

ولنتجه أولا وقبل سن القوانين المناسبة الى التوعية والتربية .. التربية الاسلامية التى تحصن المسلم والمسلمة من الداخل .. وتحميهما من الانطلاق وراء تقليد البيئات الغربية فى أى أمر يخالف تعاليمنا ومبادئنا ..

نريد أن تقوم حملة توعية نفسية تقنع المسلم بأن التقدم والتمدن ليسا فى هذا الانطلاق الآثم الذى يخالف تعاليم الاسلام ..

نريد أن نربى المسلم على ألا يكون جهاز استقبال يلتقط كل شىء حتى ولو كان فيه دماره ..

نريد من كل جهاز اعلام أن يشدد الحملة على هذا الضعف النفسى الذى أصاب المسلم والمسلمة فجعلهما يتخليان عن أهم مبادىء الاسلام فى سبيل أن يقال : متمدن متحضر . متقدم . عصرى ..

نريد أن نوقظ فى نفس المسلم روح الاعتزاز باسلامه وتقاليده الحقة النابعة منه ،

حتى يرفض فى اصرار وشدة كل ما يمس هذه التقاليد ، كما يرفض أى شىء يمس ماليتـــه ..

حينئذ يمكن أن نطمئن الى أن المسلم والمسلمة فى أى مكان سيحميان نفسيهما من الانحرافات والتقليد الاعمى .. وفى هذه الحالة يمكن أن نقول اننا وضعنا أسسا متينه للحد من كثرة وجود هؤلاء الابرياء الذين جاءوا ثمرة الحرية المشوهة التــى مهدت للانحراف الآثيــم ..

وليس معنى هذا أننا سنتخلص نهائيا من وجودهم ، فالاثم لا بد أن يثبت وجوده دائمــا ..

وهنا تجابهنا مشكلة تربيتهم وتهيئة مستقبل كريم لهم ..

بعض الناس الذين لا يعنون الا بالناحية النفسية لهؤلاء . يتجهون لعلاج مشكلتهم على هذا الاساس النفسى ، ولا يرون بأسا فى أن يتبنى بعض القادرين ولا سيما الزوجان اللذان حرما نعمة الاولاد واحدا منهم ، ويتخذا منه ابنا لهما يأخذ كل حقوق البنوة الحقيقية !!

والذين يرون هذا الرأى لا يهتمون بنصوص القرآن الذى حرم التبنى فى صراحة وشدة حين قال : ((ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمــدت قلوبــكم)) .

فاذا كنا نسلم بأن الله لم يجعل للرجل قلبين فى جوفه ، ولم يجعل الزوجة التى نظاهر منها أما لنا ، فمن البديهى أن نسلم كذلك بحكم الله فى أن الأدعياء (المتبنَّيْن) ليسوا بأبناء لنا ، ولا يمكن أن يأخذوا حكم الابناء .

انظر الى كل جملة جاءت فى قول الله سبحانه ، بعد ذلك مباشرة : ((ذلكم قولكم بأفواهكم .. الآية)) ، تحس صراحة وشدة ووضوحا فى نهى الله سبحانه عن التبنى بالمعنى الذى كان معروفا قبل الاسلام ، وبالمعنى الذى يدعو اليــه بعض النــاس الآن بحجة العطف منهم على هؤلاء الأبرياء ..

نعم . انهم أبرياء .. ويستحقون العطف .. ولكن أن نتجاوز فى عطفنا ، وفيما نتخذه من سبل لتحقيق هذا العطف ما حدده القرآن ورسمه لنا ، فهذا ما لا يسلم به مسلم يخشى الله ، ولا دولة تتخذ من الاسلام دينا لها .

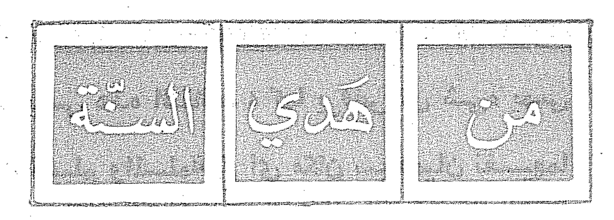
ان قلوبنا مشحونة بالعطف عليهم ، وبالتقدير لمواقفهم حين يشبون ويعرفــون الحياة ، ويختلطون بالناس . ونعرف أنه قد يكون فى هؤلاء كما فى كل الأطفال العاديين نبغاء وعلماء يخدمون أمتهم ..

ولكن ينبغى علينا ونحن نفكر فى تهيئة مستقبل كريم لهم ، وفى صيانتهم من العقد فى حياتهم أن نفكر كذلك فى تهيئة مستقبل كريم لنا عند الله يوم أن نلقاه ، ونصــون أنفسنا من غضبه .

((يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم)) ((يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله))

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل "

رئيس التحريــر



الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف
والشؤون الاسلامية

قال عمرو بن العاص : بينما النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجر الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبى معيط ، فوضع ثوبه فى عنقه ، فخنقه خنقا شديدا ، فاقبل أبو بكر رضى الله عنه، فأخذ بمنكبه ، ودفعه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله .

رواه البخارى

١ ــ الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمل ، ولا ينتهى المتحدث فيه الى نهاية يقف عندها ويقطع الكلام ، لان حياته عليه الصلاة والسلام هى رسالته ، ورسالته فى كل أوضاعها رسم دقيق لمشاكل البشر ، وحل أدق لكل مشكلة ، وعرض شامل لمراحل الحياة ، ومنار واضح لمعالم الرحلة فى كل أحوالها وملابساتها ، وبناء قوى متماسك لمجموعة الكمالات الروحية والمادية التى تقيم صرح الوجود الانسانى سامقا شامخا لا تنال منه زوابع العصور المختلفة ، ولا تؤرجحه أعاصيرها ، واسعاف سريع حاسم لكل حائر فى ظلام الحياة أو عان فى مدارجها ــ لهذا كان استحضار تاريخه ودراسة جهاده ومعرفة العقبات التى بدت فى أفقه ولانت أمام عزمه القوى وثباته العبقرى ، ثم ظهور النور الهادى ، وانبلاج الصبح القاضى على الظلام ، وتوطيد اركان السمو والعزة فى أصحابه والارض التى عاشوا عليها والامة التى حكموها بتعاليم الاسلام ــ كل أولئك يمنحنا نحن العائشين فى هذا الجو الصاخب اللجب بالمنكرات المضطرب بالفساد الخلقى والاجتماعى، أقول : يعطينا القوة والصبر والكفاح والاستهانة بما نلاقى حتى نصل الى ما يرضى رب العالمين ورسوله ، ونعيد تخطيط مجتمعاتنا على أساس من التبصر الاسلامى مترسمين خطى سيد الخلق صلى الله عليه وسلم ومستمدين العون ممن أعانه ووفقه ربنا وربه رب العرش العظيم .

٢ ــ يمضي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام فى طريقه الذى رسمه له قيوم السموات والارض ناشرا دين الله ، باثا دعوته ، مثبتا دعائمها ، غير عابىء بايذاء المشركين ، ولا ملق بالا لارجاف المرجفين، يناديه الروح الامين بأصدق الحديث : « فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين . انا كفيناك المستهزئين » فهو صلى الله عليه وسلم يعلم علم اليقين أنه لا بد من مستهزئين به ، سيقفون له بالمرصاد ، ويبذلون قصارى جهدهم لتحويله عن طريقه ، ولكن من هم أولئك المعارضون ؟ أليسوا عبدة أوثان لا تنفع ولا تضر ، وهو الداعى الى التوحيد . الى عبادة من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه سبحانه وتعالى عما يشركون ، وقد أخبره بأن فريقا من قومه لن يؤمنوا مهما أيقنوا بأنه صادق ، لانهم يصمون آذانهم عن الحق ، ويتعامون عن نوره الأبلج ، ومع هذا يجب ألا ييأس ، وألا يتردد ، وانما عليه أن يستمسك بالذى أوحى اليه ، ويصمد مهما لاقى من عنت ومشقة ، وليؤمن بأن عقاب الله واقع بالمخالفين المعاندين ، يقول الله تبارك وتعالى : « أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين . فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون . أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون . فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم . وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

٣ ــ ونهرع الى التاريخ لنستمع اليه وهو يقص علينا أنباء الرسول العظيم ، وكيف واجه عناد الشرك بقوة الايمان ، وجهامة الكفر بسماحة الاسلام ، وعتو المال والولد ، بعون الله شديد المحال .

افتن الكافرون ما شاءت لهم عقولهم أن يفتنوا ، وعمدوا ــ فى بعض محاولاتهم العدوانية ــ الى ما تعمد اليه الدول المعاصرة من مقاطعة الاعداء ليحصروهم ، ويحصوا عليهم أنفاسهم ، ويمنعوا عنهم القوت حتى يضطروهم الى التسليم دون قيد أو شرط .

يقول المؤرخ محمد بن اسحاق : (فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا ، وأن النجاشى قد منع من لجأ اليه منهم ، وأن عمر قد أسلم بعد اسلام حمزة بن عبد المطلب وبدأ الاسلام يفشو فى القبائل ، اجتمعوا ــ أى الكفار ــ وائتمروا فيما بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب على ألا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه فى صحيفة ، ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم) وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة ، دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت أصابعه . وانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبه واجتمعوا اليه ، وخرج من بنى هاشم أبو لهب الى قريش فظاهرهم وكان ابو لهب يقول : يعدنى محمد أشياء لا أراها يزعم أنها كائنة بعد الموت فماذا وضع فى يدى ثم ينفخ يديه ويقول : تبا لكما ما أرى فيكما شيئا مما يقول محمد . فأنزل الله فيه سورة كاملة خاصة به وبزوجته الكافرة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . تبت يدا أبى لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب . فى جيدها حبل من مسد » (١) . وأبو لهب فى موقفه هذا يضربه الله مثلا للملحدين فى آيات

---

(١) روى البخارى أنها نزلت غداة قال أبو لهب للرسول الكريم حين جمعهم وبلغهم : تبا لك ألهذا جمعتنا ، وروى أنه ظل سائر يومه ينفخ يديه ويقول : تبا لك يا كذا .. الخ ...

الله فى كل زمان ومكان الذين لا يؤمنون الا بما يحسون ، ولا يلقون بالا الا للمادة البحتة لان الله تعالى طمس على بصائرهم فلا تدرك ، وختم على قلوبهم ، فلا تسعى ، حالت المادة الكثيفة بينهم وبين معرفة مدبر الكون فأنى لهم أن يستجيبوا لداعى الحق .

٤ — مضت الأيام بطيئة متثاقلة ، وتعاقب جديداها ، ونقضت الصحيفة ، وعادت أمور المقاطعين وأعمالهم الى تباب ، وأمر الدعوة ظاهر لا يستطيع أحد أن يوقف تياره الجارف . ولا بأس أن نورد طريفة حدثت أثناء المقاطعة فقد لقى أبو جهل حكيم بن حزام بن خويلد ومعه غلام يحمل قمحا يريد عمته خديجة بنت خويلد ، وهى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه فى الشعب فتعلق به وقال : أتذهب بالطعام الى بنى هاشم ؟ واللات والعزى لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة ، فجاءه أبو البخترى بن هاشم بن الحارث فقال : مالك وله ؟ فقال : يحمل الطعام الى بنى هاشم . فقال أبو البخترى : طعام كان لعمته عنده بعثت اليه فيه افتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خل سبيل الرجل ، فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من الاخر ، فأخذ أبو البخترى لحى بعير ، وضربه به فشجه ، ووطئه وطئا شديدا ، وحمزة ابن عبد المطلب قريب منهما يسمع ويرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيشمتون بهم . ولكن الله تبارك وتعالى مخزى الكافرين وحاشرهم الى جهنم جميعا .

٥ — يستمر رسول الله عليه افضل الصلاة وأزكى السلام هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، دائبا على التبليغ ليلا ونهارا سرا وجهارا ، صادعا بأمر الله لا يخشى فى الحق لومة لائم ، ولنورد بعض النماذج لما كان يفعله الكفار معه ليصدوه عن سبيل الله بعد أن أخفقوا فى المقاطعة التى تحدث عنها التاريخ طويلا

أ — يتمثل الانموذج الاول فى أم جميل حمالة الحطب حين سمعت ما أنزل فيها وفى زوجها من القرآن الكريم، فقد جاءت الى الرسول وهو جالس عند الكعبة ، ومعه أبو بكر الصديق ، وفى يدها حجر كبير ، فلما وقفت عليهما أخذ الله بصرها فلم تر الرسول الكريم وانما رأت أبا بكر وحده فقالت : يا أبا بكر أين صاحبك ؟ لقد بلغنى أنه يهجونى ، والله لو رأيته لضربت بهذا الحجر فاه ، ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يا رسول الله أما تراها رأتك ؟! فقال : ما رأتنى ، لقد أخذ الله ببصرها عنى .

ب — والانموذج الثانى يتضح فى الاخنس بن شريق (١) الذى كان اذا رأى رسول الله همزه (٢) ، واذا غاب عن ناظريه لمزه (٣) فأنزل الله فيه : ((ويل لكل همزة لمزة)) السورة .

---

(١) قيل فى الاخنس بن شريق وقيل غيره وقال مجاهدهى عامة فى كل من هذا فعله

(٢) قال مجاهد وعطاء : الهمزة : الذى يطعن فى وجه الرجل ، واللمزة : الذى يغتابه من خلفه اذا غاب عنه والاصل فى الهمز : الكسر ، وفى اللمز أنه الطعن بالرمح ، ثم شاع استعمالها فى المعنى السابق قال شاعرهم :

اذا لقيتك عن شحط تكاشرنى ... وان تغيب كنت الهامز اللمزه

ج ـ والمثل الثالث العاص بن وائل السهمى الذى لقى خبابا بن الارت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أليس يزعم محمد أن فى الجنة ما يريد أهلها من مال وخدم وثياب ؟ فقال : بلى ، قال : يا خباب لن تكون أنت وصاحبك آثر عند الله منى لانى فى الدنيا أعظم حظا منكما فنزل فيه قول الله تعالى : « افرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا . اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا . كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا . ونرثه ما يقول ويأتينا فردا » .

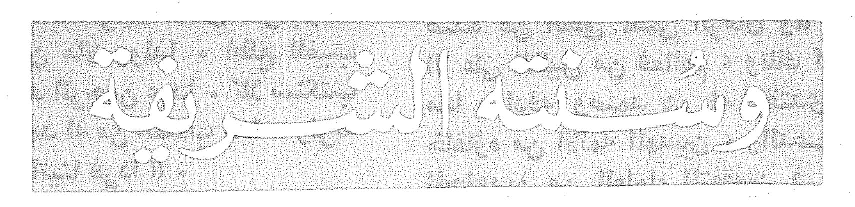
د ـ والرابع : أبو جهل بن هشام الذى قال لرسول الله يوما : لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن الهك الذى تعبد فنزل قول الله سبحانه : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » فكف الرسول صلى الله عليه وسلم عن سب آلهتهم .

هـ ـ ومنهم النضر بن الحارث بن علقمة الذى كان كلما جلس مجلسا فى أهل مكة يقول ان محمدا يحكى أساطير الاولين ، وما هو بأحسن حديثا منى . فنزل قول الله الكريم : « وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما » ، وقال تعالى فيهم أيضا « ويل لكل أفاك أثيم . يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم » .

و ـ والمثل السادس هذه الحادثة التي يرويها عمرو بن العاص من بلوغ الحقد والغيظ بعقبة بن ابى معيط مبلغا أفقده عقله وصوابه ، فامتدت يده الاثيمة الى عنق البشير النذير يريد خنقه ، ولولا أن الله ساق اليه الصديق فى هذه اللحظة الحاسمة لتغير وجه الدنيا ولقد صدق الله حيث يقول : « والله يعصمك من الناس »

هذا : ولو ذهبت أستقصى ما حدث به التاريخ من تفنن المعاندين فى عدائهم لرسول الله وسلوكهم كل السبل لمحاولة صده عن الحق لمضى الزمان ولما نأت الا على القليل من فعالهم ، وتلك أمثلة مما صادفه وصمد هو له ليقتدى به خلفاؤه من الائمة المهديين ، والدعاة المجاهدين من العلماء المتفقهين فى دين الله ، فلا تتحقق وراثة الانبياء فى العلماء الا بجهادهم فى سبيل الدعوة ونشرها وتبليغها والصبر عليها فالانبياء لم يورثوا مالا ولا ضياعا وانما ورثوا جهادا وتبليغا ودعوة الى الله بالتى هى أحسن حتى تلين القلوب وتستجيب ، ولا يصح سلوك طرق العنف والشدة حتى لا يتولد العناد والمجابهة فى المدعوين والله يقول لموسى وأخيه عليهما السلام : « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » ، ويقول : (ادفع بالتى هى أحسن) .. الاية ويقول : « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا ..» والاسلام فى حاجة دائما الى تكاتف أبنائه ليحملوا رايته ، وعامل واحد يطبق ما يقول على ما يفعل خير وأجدى على الامة من آلاف يقولون مالا يفعلون فالقدوة العملية هى التى تنتج وتثمر ، وللمسلمين فى رسول الله أسوة حسنة ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، نسأله جلت قدرته أن يوفق المسلمين قاطبة لفهم كتابه وسنة نبيه والعمل بهما انه سبحانه نعم المولى ونعم النصير .

الرسول صلى الله عليه وسلم



للدكتور عبد الحليم محمود
رئيس قسم العقيدة بكلية اصول الدين
جامعة الأزهر

يقول الله تعالى لرسوله الكريم :

((وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا)) .

وما كانت هذه الرسالة العامة ، لاحد من الرسل من قبله : فموسى عليه السلام ارسل لبنى اسرائيل خاصة . فاقتصرت دعوته عليهم لدرجة انه حينما ذهب هو وهارون ، عليهما السلام الى فرعون قالا له ((انا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل)) .

فموسى ذهب الى فرعون ليرسل معه بنى اسرائيل . ولم يكافح سيدنا موسى الشعوب ، أو الامم فى سبيل دعوته .

وعيسى عليه السلام انما ارسل الى ((خراف بنى اسرائيل الضالة)) على حد تعبيرهم القديم . ولم يحاول سيدنا عيسى ان يبشر بدعوته خارج فلسطين ، ويجاهد من أجلها .

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ارسل الى الناس جميعا .

ارسل الى الناس جميعا من حيث المكان ، وارسل اليهم جميعا من حيث الزمان ، فهو الرسول الدائم ، زمانا ومكانا . ((قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا)) . ولقد امتزج رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالته الخالدة ، فكان هو هى تقول السيدة عائشة رضى الله عنها : ((لقد كان خلقه القرآن)) .

وهذه الكلمة من السيدة عائشة رضوان الله عليها ، تحتاج الى تحديد وبيان ، ذلك ان الاخلاق القرآنية تحدد الخلق الكريم فى حده الادنى ، ثم لا تقتصر

على ذلك وانما ترسم القمم من مكارم الاخلاق ، وتوجه الى السنام منها ، وتقود الى المشارف العليا من درجات المقربين .

والقرآن يحدد الدرجة التي وصل اليها الرسول من الخلق القرآني ، فيقول سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم :

« وانك لعلى خلق عظيم » .

وهذه الآية القرآنية تحدد درجة الاخلاق القرآنية التي وصل اليها الرسول صلى الله عليه وسلم ، انه ذروتها وسنامها . ولقد قال صلوات الله وسلامه عليه :

« انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » .

انه صلى الله عليه وسلم ، بعث ليتمم المكارم الاخلاقية ، ليتممها بذاته بسلوكه وليتممها بقوله ، برسالته انه لم يبعث ليبشر بالاخلاق وحسب ، وانما ليتمم مكارمها ، ومكارم الاخلاق لا يحدها — من حيث التبشير بها — مكان ، ولا يحدها زمان بل ولا يحدها عالم من عوالم الله فى الارض أو السماء ، ومن اجل ذلك كانت رسالته صلوات الله عليه وسلامه رحمة للعالمين كما يقول الله تعالى : « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، لانه يمثل الاخلاق القرآنية فى ذروتها وسنامها جعل الله سبحانه وتعالى ، له مكانة خاصة بين المسلمين فهو صلوات الله وسلامه عليه — لانه تمثل القرآن وحققه ، — اصبح بذلك يمثل الحق بقوله ، ويمثل الحق بعمله ، فلا ينطق عن الهوى ولا يعمل بالهوى .

ويقول الله تعالى له معبرا عن هذه الحقيقة أروع تعبير :

« وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله .... » ويقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم « قل انني هدانى ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ... » .

بل ان طريق الدعوة نفسه كان صلوات الله وسلامه عليه يسير فيه معصوما ، ودعوته وطريق دعوته يسير فيهما على هدى وعلى نور من ربه . ولذلك فان « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

ويعمم الله سبحانه الحكم تعميما ، ويطلقه اطلاقا فيقول سبحانه : « وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا » ويقول الله تعالى « وان تطيعوه تهتدوا » .

واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم سبب فى محبة الله تعالى ، لمن يتبعه « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ... » .

ان حب العبد لله لا يفيد ما لم يتخذ العبد الوسيلة الناجعة لذلك ، وهذه الوسيلة هي اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولقد قال الله سبحانه وتعالى فى حديث قدسى رواه الامام البخارى : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب . وما تقرب الي عبدى بشيء أحب الي مما افترضته عليه . وما يزال عبدى يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به .

وبصره الـذى يبصر بـه . ويده التي يبطش بها . ورجله التي يمشي بهـا . وان سألني لأعطيته . ولئن استعاذ بي لاعيذنه » .

وهذه النوافل التي ذكرت فى الحديث القدسي الشريف والتي اذ اكثر الانسان منها بعد اداء الفرائض احبه الله : انما هي سلوك رسول الله صلى لله عليـه وسلم ، انها طريق رسمه ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ بقوله وبعمله ، انها سنته ـ صلوات اللـه وسـلامه عليه ـ التي سنها ، لينال الانسان بهـا محبة اللـه سبحانـه .

ولقد أحب الله سبحانه رسوله وكان هذا الرسـول صلى اللـه عليه وسـلم بعبوديته لله سبحانه حبيب الله ، وبلغ الرسول صلوات اللـه عليـه وسـلامه بعبوديته التامة درجة أول المسـلمين ، وكان حبيب الله ونبيه ورسـوله ميزه الله سبحانه وتعـالى على بقيـة البشر بكونه خيرهم ، وهذا التمييز لا يخرجه ـ صلوات الله وسـلامه عليه ـ عـن البشريةفهو بشر ، وهو خير البشر ، ومن اجل انه خير البشر ، يقول الله تعالى مخاطبا المؤمنين : ـ

« ولا تجعلوا دعاء الرسـول بينكم ، كدعاء بعضكم بعضا » .

ان الانسـان الذى خصه الله بالوحى ، واجتباه لرسالته ، واصطفاه ليكون ـ باسمه سبحانه ـ بشيرا ونذيرا ان هذا الانسـان الذى فضله الله على العالمين ، يجب أن نعرف له مكانته وننزله فى الشرف الذى انزله الله فيه .

ان هذا السراج المنير والرءوف الرحيم: ينبغي الا يدعى كمـا يدعى زيـد وعمر « بمعنى لا تنادوه باسمه فتقولوا : يـا محمد ، ولا بكنيته فتقولوا : يا أبا القاسم، بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم ، بأن تقولوا : يا رسول الله ، يا نبي الله ، يا امام المرسلين ، يا رسول رب العالمين ، يا خاتم النبيين ، وغير ذلك .. واستفيد من هذه الآية ـ كما يقول الشيخ الصاوى فى حاشيته على تفسير الجلالين ، انـه لا يجوز نداء النبي بغير ما يفيد التعظيم ، لا فى حياته ، ولا بعد وفاته .

فبهذا يعلم ان من استخف بجنابـه صلى الله عليه وسلم ، فهو كافر ملعون فى الدنيا والآخرة ويقول الله سبحانه فى أوائل سورة الحجرات :

« يا أيها الذين آمنـوا لا تقدموا بـين يدى الله ورسوله » .

أى لا تتقدموا بأمر من الامور ، قولا كان أو فعلا ، الا اذا أذن الله ورسوله ، وكل امر قولا كان او فعلا اتاه الانسان بدون اذن الله ورسوله ، فانه لا يقـع على السنن المستقيم يقول الضحاك :

« هو عام فى القتال وشرائع الدين ، أى لا تقطعوا أمرا دون الله ورسوله » .
« واتقوا الله ، ان الله سميع عليم » .

« يا أيها الذيـن آمنـوا لا ترفعـوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض » ـ فانكم

اذا فعلتم ذلك يخشى عليكم – « ان تحبط أعمالكم وانتم لا تشعرون » .

« ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم » .

« أما هؤلاء الذين اساءوا الادب ، فاخذوا ينادونك من وراء الحجرات مناداة الاعراب الاجلاف ، فى غلظة وفى جفاء فانهم ناقصو العقول » .

« ان الذين ينادونك من وراءالحجرات اكثرهم لا يعقلون . ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم » .

على ان مجرد الرغبة فى الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحتاج تنفيذها الى تقديم صدقة ، يقول الله تعالى فى سورة المجادلة : « يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم » .

وتدل الآية الكريمة على أن ترك تقديم الصدقة فيه شيء ، لان من لم يجد الصدقة فان موقف الله سبحانه منه – لعدم قدرته – المغفرة والرحمة ، ولا تكون المغفرة والرحمة الا على أثم اتاه الانسان ، وكان عدم توفر الاستطاعة سببا فى مغفرة الله سبحانه .

« اشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات » .

واذا حملكم خوف الفقر على الا تفعلوا واذا قادكم الضعف الانساني على الا تنفذوا ذلك ، ثم ندمتم واستغفرتم ، فتداركوه حتى يتوب الله عليكم ، واثبتوا حسن نيتكم ، وصفاء سريرتكم ، بأن تقيموا الصلاة على الوجه الاكمل وتؤتوا الزكاة طيبة بها نفوسكم ، وتطيعوا الله ورسوله فى الصغير والكبير ، وما من ريب فى ان الله ، سبحانه خبير بكل ما تعملون ، يقول الله تعالى : « أأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون » .

وبعد ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » .

ويقول الله تعالى : « يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا » .

تلك هي مكانة الرسول – صلى الله عليه وسلم – عند الله فهل هي كذلك عند البشر ؟ .

قبول العذر

مما قيل فى قبول العذر .

أ – ما اذنب من اعتذر ولا اساء من استغفر .

ب – الاصاغر يهنون والأكابر يعفون .

ج – الكريم اوسع ما يكون مغفرة ، واذا ضاقت بالمسيء المعذرة .



بين القانون والشريعة

للاستاذ احمد قطيع

ا ـ السلطة القضائية في مفهومها الحديث ـ

حسب نظرية فصل السلطات ، تعد السلطة القضائية احدى السلطات الثلاث ، ولهذا فهي مستقلة عن السلطتين الاخريين : التشريعية ، والتنفيذية . ولكن مع هذا لايمكن أن تعد السلطة القضائية من الاجهزة السياسية للدولة . لان العمل القضائي ما هو الا عمل من النوع التنفيذي فقط . واذا كانت السلطة القضائية مستقلة عن غيرها من السلطات ، فبمقدورنا أن نرى أن الضمانات العملية لهذا الاستقلال نوعان : الاول : يتعلق بكيفية انتقاءممثلي السلطة القضائية ليكونوا مستقلين في عملهم القضائي ، ولئلا يكون للسلطة التنفيذية أى تأثير على عملهم هذا . والثاني : يتعلق ببيان الحدود الفاصلة بين ميدان العمل القضائي من جهة ، وبين الاعمال التشريعية والتنفيذية من جهة أخرى .

ا ـ انتقاء القضاة :

هناك أسلوبان لتأمين استقلال القضاة ، الاول انتخابهم من قبل الشعب ، والثاني أسلوب الحصانة القضائية .

أ ـ أسلوب الانتخاب :

يتم هذا الاسلوب باجراء الانتخاب من قبل الشعب ، ولعل هذا الاسلوب يؤمن السلطة القضائية من التنفيذية ، كما هي الحال في كثير من دويلات الولايات المتحدة الامريكية التي لا تزال تمارس هذا الاسلوب حتى اليوم ، ويشترط لهذا الاسلوب كفاءة المرشحين ، وتقتضي هذه الكفاءة من المرشح لعضوية المحاكم العليا مثلا أن يكون قد بلغ سن الثلاثين ، حاملا شهادة علمية ، ممارسا المحاماة أو القضاء مدة معينة من الزمن ، ولكن أكثرية الدول لا تميل للأخذ بهذا الأسلوب للمحذورين التاليين :

١ ـ عدم الكفاءة : وذلك لأن الانتخاب الشعبى لا يؤدى حتما الى نجاح أكثر المرشحين كفاءة ، وأشدهم نزاهة .

٢ ـ استرضاء الناخبين : يجب أن يجرى العمل القضائي في جو مفعم بالحياد التام ، ولا يستطيع المرشح ذلك لأنه ربما أثرت به موجدة نفسية ،

او نعرة حزبية ، فيميل الى انصاره ويشدد على مناوئيه وبهذا يفوت العدل ويضر بالحق .

ب ـ أسلوب الحصانة القضائية :

ان مبدأ الحصانة القضائية ينص على أن القضاة مستقلون ، ولا يعزلون الا فى الأحوال التى عينها القانون، ولهذا فالحصانة تعني صيانة القضاة من العزل ومن النقل ، وبهذا الأسلوب يتم تعين القضاة :

١ ـ بمرسوم جمهورى من السلطة التنفيذية ـ شريطة أن تتوفر فى المرشح الشروط القانونية .

٢ ـ القاضى المعين مصون من النقل التأديبى والعزل، الا المانع يمنعه من الاستمرار فى العمل كخطيئة كبرى ، أو عجز عن العمل .

٣ ـ يتم ترفيع القاضى بموجب شروط قانونية .

والحصانة تشمل سائر القضاة الذين مضى على تعيينهم ثلاث سنوات فأكثر ما عدا قضاة النيابة لانهم يمثلون وزارة العدل لدى القضاة فلهذه الوزارة حق نقلهم ، وقد ترفع هذه الحصانة لمقتضيات سياسية ، وفترات محدودة من غير خضوع للشروط القانونية (١)

٢ ـ حدود السلطة القضائية :

لقد حددت القوانين نوع العمل القضائي ، والسلطة القضائية تمارس هذا العمل وفق القواعد الآتية :

١ ـ ليس للمجلس النيابي أن يصدر حكما فى قضية معينة ، لأن هذا من شأن القضاء وحده .

٢ ـ ليس للمجلس النيابي أن يلغى بقانون حكما صادرا عن السلطة القضائية ، وليس له ايضا ان ينتقد حكما قضائيا مهما كان شانه ، أو أن يحاول توجيه القضاء فى قضية ما لناحية معينة ، والعفو العام ليس خروجا على هذه المبادىء لانه يرمى الى مصلحة عامة .

٣ ـ ليس للسلطة التنفيذية أن تحاول توجيه القضاء أو انتقاده ، كما أنه ليس للقضاء أن يتجاوز حدود اختصاصه بقيامه بأعمال تشريعية او تنفيذية ، ويترتب على ذلك :

ـ أن المحاكم تنفذ القانون ولا تنشئه .

ـ ليس لهذه المحاكم أن تفرض على نفسها أو ما دونها تفسيرا عاما معينا للقانون .

ـ ليس للمحاكم أن تقضي بدستورية القوانين ، لان ذلك من اختصاص السلطة التشريعية .

ـ ليس لها أن تتدخل فى أى نوع من الاعمال الادارية الخارجة عنها :

٢ ـ القضاء فى الاسلام :

قال ابن خلدون « القضاء منصب الفصل بين الناس فى الخصومات ، حسما للتداعى ، وقطعا للتنازع الا انه يكون بالاحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة » وقال ابن فرعون فى (تبصرة الاحكام) حقيقة القضاء الاخبار عن حكم شرعى على سبيل الالزام ، ومعنى قولهم قضى القاضى أى ألزم الحق أهله ، والدليل على ذلك قوله تعالى « فلما قضينا عليه الموت » أى ألزمناه وحتمناه عليه ، والحكم بمعنى المنع ومنه حكمت السفيه اذا أخذت على يده ومنعته من التصرف ، ومنه سمي حاكما لمنعه الظالم من ظلمه ، ومعنى قولهم حكم الحاكم أى وضع الحق فى أهله ، ومنع من ليس له بأهل . ومن هذين التعريفين يمكن التعرف على حقيقة القضاء فى الاسلام بأنه منصب الفصل فى الخصومات ، والالزام بالأحكام الشرعية فى الامور التي تعينت لصاحب هذا المنصب فى العهد أو فى العرف .

١ ـ ولاية القاضى العامة :

ان ولاية القاضى تختلف من عصر الى عصر ، ويمكن أن نذكر بأن ولاية القاضى فى أواسط العهد العباسي كانت كما يلي :

١ ـ النظر فى الدعاوى الحقوقية .

٢ ـ النظر فى الدعاوى الجزائية التى يقدمها الافراد فى الحدود المعدودة من حقوق الآدميين ، كدعاوى القذف والجرح ، والفصل فيها بحكم يتضمن ثبوت الجرم على المعتدى .

٣ ـ النظر فى الحقوق التى تعد من حقوق الله ، ولو لم تقدم بذلك دعوى من رجل ما يتخذ لنفسه صفة المدعي .

٤ ـ تنفيذ الأحكام واستيفاء الحدود .

---

(١) يلاحظ أن هذه الامور قد تختلف من دولة الى دولة .

٥ ـ الحجر على السفهاء ، وتنصيب الأولياء والاوصياء والقوام .

٦ ـ النظر فى الأوقاف .

٧ ـ النظر فى الوصايـا

٨ ـ تزويج الايامى اذا جاءهن من يخطبهـن من أكفائهن وعضلهن اولياؤهن .

٩ ـ تصفح الشهود ، والتعويل على النزهاء منهم ، واطراح من لا يوثق بهم .

هذه هي الامور التي تعد من ولاية القاضي ، فان ولى قاض ولم يحدد له اختصاصه فيرجع فى ذلك الى العرف والعادة ، ولكن قد يخصـص القضاء فى أمور معينة بذاتها فليـس للقاضـى حينئذ أن يتجاوز حدود اختصاصه ، كما أن من الممكن أن يخصص القضاء بزمن محدود ، فليس للقاضي أن يقضى بعد انتهاء هذا الزمن .

٢ ـ شروط القضـاة :

يشترط للقضاء شروط عدة ، ومتى توفرت فى فرد كان متمتعا بأهلية القضاء ، وهذه الشروط هي :

١ ـ الذكورة : فليس للمرأة أن تكون قاضية ، مع خلاف بعض الفقهاء فى ذلك .

٢ ـ البلوغ : اذ الصبى ليس له ولاية على نفسه فكيف به على غيره

٣ ـ العقل : اذ ليس للمجنون تولى القضاء ، والقاضى العاقل هو الذى يتوصل بذكائه وعقله الى ايضاح ما أشكل وفصل ما أعضل .

٤ ـ الحرية : ليس للعبد الرقيق ان يكون قاضيا ، ولا للمبعض ، ولا المدبر .

٥ ـ الاسـلام : للذمى القضاء على أهل دينه ، وغير المسلمين جميعا ليس لهم القـضاء على المسلمين وسيوضح ذلك فى قواعد القضاء .

٦ ـ سلامة السمع والبصر والنطق . لان مـن لوازم القضاة أن يسأل القاضي ، ويرى الخصوم ويستمع الى اقوالهم .

٧ ـ العدالة : وذلك بأن يكون القاضي ظاهر الاسلام ، وألا تعلم عنه جرحة ، ومن لا تجـوز شهادته لا تجوز ولايته ، ويذهب الشافعي رضى الله عنه الى عدم جواز قضاء الفاسق .

٨ ـ العلـم : يذهب جمهور الفقهاء الى أن العلم صفة لازمة للقاضي بل لا بد منها ، وقـد اختلف بعض الفقهاء فى هذه الصفة اذ جـوز بعضهم ان يكون القاضي اميا اذا كان صحيح الفهم ، ولا يوجد فى البلد أصلح منه .

٣ ـ طلب القضـاء :

قلنا ان تعيين القضاة فى الأسلوب الحقوقي يتم اما بالانتخاب من قبل الشعب ، ويكون المرشح الناجح هو القاضى ، أو بالتعيين ، ولكن يتراءى لنا أن ذلك لا يستقيم فى نظام الاسلام ، وذلك لأن اكثر الفقهاء قالوا بأن طلب القضاء لا يجوز ، وذلك لما يرويه أبو موسى الاشعرى انـه قـال « دخلت على رسول الله أنا ورجلان من بنى عمى، فقال أحد الرجلين لرسول الله أمرنا على بعض ما ولاك الله ، وقال الآخر مثل ذلك ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : انا والله لا نولى العمل احدا يسأله . » ولقد كان الناس يتورعون عن أن يتولوا القضاء ويتهيبون من ذلك للأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسـلم كقوله « من استقضى فقد ذبح من غير سكين » وقوله « قاض فى الجنة ، وقاضيان فى النار » ولهذا رفض أبو حنيفة قضاء الكوفة حين كلفه به الامير ابـن هبيرة فى آخر زمن الأمويين ، وفضل أن يضرب كل يوم عشرة سياط مدة عشرة ايام على أن يقبل القضاء الذى حذر منه رسول اللـه . ولكـن الكثيرين من المؤلفين يذهبون الى أن التخويف من القضاء والتحذير منه انما هو للقضاة الظلمة الجائرين . وقد قسم ابن فرعون القضـاء مـن حيث طلبه وتوليه خمسة أقسام :

١ ـ واجب : وهو حين لا يوجد فى البلاد احد غيره يصلح للقضاء .

٢ ـ مبـاح : وهو حين يكون فقـيرا ولـه عـيال .

٣ ـ مستحب : وهو أن يكـون عالمـا خامـلا مغمورا ، وليس له عمل ، والامام يعرفه فيقلده القضاء اظهارا له وحملا للناس على الافادة مـن علمـه .

٤ ـ مكـروه : اذا كان مشهورا ، ويريـد القضاء للعـلو .

٥ ـ حـرام : وهو أن يطلب القضاء وهـو جاهل او فاسـق .

ولعل هذا التقسيم الذى ذهب اليه ابن فرعون هو الذى تؤيده الادلة ويدعمه العقل (١) .

٤ ـ مجلس القاضي وآدابه :

كان الخصوم يقصدون القاضي فى داره ، وربما جلس فى السوق أو المسجد للقضاء بينهم ، ولكن الشافعية كرهوا ان يكون المسجد محلا للقضاء ، ولهذا تحول القضاة الى رحاب المساجد أو المدارس أو الى دور خصصت للقضاء ، وقد كان القضاة يحددون اياما وساعات للقضاء ، أما الأعياد الرسمية والجمع وعند تكاثر الامطار والوحول فما كان القضاة يجلسون فى تلك الأيام للقضاء ، وهناك آداب للقضاء يهتم بها الفقهاء كثيرا حرصا على سلامته وسمعته فيذكر صاحب ((معين الحكام)) بعض ما يلزم القاضي نفسه ، أن يعالج نفسه على آداب الشرع ، وحفظ المروءة، وعلو الهمة ، وأن يتوقى الشين فى الدين والمروءة لأنه يقتدى به ، وألا يجعل من الولاية المباهاة بالرئاسة ، وأن يكون جميل الهيئة والابهة من غير تكبر ولا اعجاب ، اذ كلاهما شين فى الدين وعيب فى المؤمنين وألا يقبل الهدية من الاجنبي قال ربيعة ((اياك والهدية فانها ذريعة الرشوة)) وألا يتعاطى البيع والشراء فى مجلس القضاة ، وأن يجيب الدعوة كدعوة الختان والعرس ، وأن يجتنب بطانة السوء .

وهكذا يتبين لنا من هذا النص الذي أوردناه باختصار بأن على القاضي أن يراعى الآداب المثلى حرصا على منصب القضاء الذى هو من الخطورة بمنزلة كبيرة ، ولعل كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابى موسى الأشعرى عامله بالكوفة يعد المرجع الاول للكثيرين من المؤلفين الذين يضعون بين يدى مبحث القضاء آداب القاضى ، لانه عدة القاضى ونبراس الحاكم اذ يرسم السبيل التي يجب أن تتبع فى عالم القضاء، وهذا نص الكتاب :

١ ـ الكتاب والسنة أصلا القضاء .

أما بعد فان القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم اذا أدلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ فيه .

٢ ـ المساواة بين الناس .

آس بين الناس فى مجلسك وفى وجهك وقضائك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك .

٣ ـ البينة واليمين .

البينة على المدعى ، واليمين على من أنكر .

٤ ـ شروط الصلح .

الصلح جائز بين المسلمين ، الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا .

٥ ـ تأجيل الجلسة .

ومن ادعى حقا غائبا او بينة فاضرب له أمدا ينتهى اليه فان بينه أعطيته بحقه ، وان أعجزه ذلك استحللت عليه القضية ، فان ذلك ابلغ فى العذر وأجلى للعماء .

٦ ـ الرجوع عن الاجتهاد المخطىء .

ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك ، فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق ، فان الحق قديم ولا يبطله شيء ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل .

٧ ـ شروط الشهود

والمسلمون عدول بعضهم على بعض ، الا مجربا عليه شهادة زور أو مجلودا فى حد ، أو ظنينا فى ولاء أو قرابة .

٨ ـ شروط تدخل القاضي وحكمه .

فان الله تعالى تولى من العباد السرائر ، وستر عليهم الحدود الا بالبينات والايمان .

٩ ـ القياس والرأى عند سكوت القرآن والسنة .

ثم الفهم الفهم فيما ادلى اليك مما ورد عليك مما ليس فى قرآن ولا سنة ، ثم قايس الامور عند ذلك واعرف الامثال ثم اعمد فيما ترى الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق .

١٠ ـ واجبات القاضى أثناء القضاء .

واياك والغضب والقلق والضجر والتأذى بالناس والنكر عند الخصومة ، فان القضاء فى مواطن الحق مما يوجب الله به الاجر ويحسن به الذكر ، فمن خلصت نيته فى الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين بما ليس فى نفسه شانه الله ، فان الله تعالى لا يقبل من العباد الا ما كان خالصا ، فما ظنك بثواب عند الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام عليك ورحمة الله .

---

(١) فلا يمكن اذن أن يطلق القول بأن طلب تولى القضاء يخالف نظام الاسلام ،

٥ ـ قواعد القضاء فى الاسلام :

لما لم يكن الناس جميعا مسلمين ، بل منهم الذميون والحربيون والمستأمنون ، فعلينا أن نبين قواعد القضاء تجاه أصناف الناس جميعا على اختلاف مللهم ونحلهم ، ومن الرجوع الى تحقيق الفقهاء نستطيع أن نورد القواعد الثلاث التالية :

الاولى : لا يجوز بالاجماع ان يتولى غير المسلم القضاء على المسلم . وتفيد هذه القاعدة عدم خضوع المسلمين لغير قضائهم ، ولقد أجمع الفقهاء على هذه القاعدة لان القضاء فى نظرهم كالشهادة بل أشد خطرا وأعظم أثرا ومن شروط الشهادة الاسلام ولقوله تعالى ((ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا)) والقضاء فى نظرهم أعظم سبيل .

الثانية : لا يقضى المسلم على غير المسلم الا بالترافع، والمقصود بالترافع هنا خضوع الخصمين الى القاضي وذلك لقوله تعالى ((فان جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم)) ولقول عمر رضى الله عنه ((أمرنا بتركهم وما يدينون)) ولقد كان الخلاف بين فقهاء المذاهب على أشده فى هذه القاعدة :

١ ـ فالمالكية ـ يشترطون لجواز الحكم بين غير المسلمين ترافع كلا الخصمين ، ومع ذلك اذا ترافعا لا يتحتم على القاضي الحكم فى الدعوى بل له ألا يحكم سواء كان موضوع هذه الدعوى من حقوق الله او حقوق العباد لقوله تعالى ((فان جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا)) .

٢ ـ والشافعية : يفرقون بين حالين ، الحال الاولى عندما تكون الدعوى بين ذميين ، أو يكون الذمى طرفا فى هذه الدعوى لا يكون للقاضي خيار فى الحكم ، بل يجب عليه أن يحكم فى الدعوى مهما تكن ديانة الطرف الثاني ، والحال الثانية عندما تكون الدعوى بين حربيين او معاهدين أو مستأمنين فهي كرأى المالكية تماما .

٣ ـ والحنفية : يذهبون الى انه ليس للقاضي أن يمتنع عن الحكم بين غير المسلمين ، فهم على خلاف مع المالكية فى ذلك ، ومع الشافعية فى الحال الثانية لأنهم يرون أن الآية الكريمة ((فان جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم)) منسوخة بالآية ((وأن احكم بينهم)) هذا ، ومن المتفق عليه بين الفقهاء أنه اذا كان احد الخصمين فى الدعوى مسلما وجب على القاضي أن يحكم فيها ، كما أن من المتفق عليه أيضا أنه اذا لم يترافع الخصمان كلاهما الى القاضي المسلم فلا ولاية له عليهما ، بل لا يجوز له أن يتدخل فى أمورهما أو يحكم بينهما .

الثالثة : حيثما حكم القاضى فانما يحكم بحكم الاسلام ، وذلك للآيات الكثيرة التي تضافرت والتي توجب الحكم بالاسلام ، منها قوله تعالى ((أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)) وقوله ((وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك)) ولهذا يجب على القاضى أن يجرى حكم الشرع فى كل قضية ترفع اليه ، غير ناظر الى ديانة الخصوم ، أو جنسيتهم ، وهذا هو الذى عليه المذاهب الاسلامية من مالكية وشافعية وحنفية ، الا أن الاخيرين اختلفوا مع بقية المذاهب فى حكم الأنكحة ونفى المهر لغير المسلمين ، وبيع الخمر والخنزير ، وليس ثمة من ضرورة لايراد الآراء فى ذلك .

وأخيرا ، فان المتأمل فيما اوردناه عن كل من القضائين يرى الفوارق الكبرى من كل وجه سواء من حيث تعيين القضاة أو من حيث القضاة أنفسهم ، وليس لنا الا أن نقول بايجاز بأن القاضى ليس له أن يطلب القضاء خلافا لما هو عليه الأمر اليوم . وأن شروطا فى الاسلام يجب أن تتوفر حتى يتمكن القاضي من القضاء ، ولسنا نرى توفر هذه الشروط جميعا اليوم ، اللهم الا الشهادة والسن وبعض الشروط الاخرى التي نصت عليها القوانين ، والقاضي فى نظر الاسلام يقضي فى الأمور الجزائية والشرعية على السواء ، بينما نرى اليوم لكل صنف من هذه الأصناف قاضيا مختصا يفصل فى الدعاوى التى هى فى حدود اختصاصه (١)

---

(١) نعتقد أن الاسلام لا يعارض هذا ان كانت فيه مصلحة وقد يكون التخصص فى ناحية اجدى وأنفع . واعتقد أن هذه اجراءات وتفصيلات تختلف حسب الظروف . وقد كانوا يذهبون الى القاضى فى بيته أو يجلسون فى السوق أو فى المسجد أو بجانبه فهل يمكن ان يجرى هذا الان) « الوعـي »



للاستاذ محمود مهدي الاستانبولي
دمشـــق

شاع على ألسنة وكتابات كثير مـــن الادباء الاسلاميين أن الانسان خليفة الله فى الارض ، وحجتهم فى ذلك قوله تعالى (واذ قال ربك للملائكة انى جاعـــل فى الارض خليفة ..) الآية ..

وعلى الرغم مـــن الاعتراضـــات التى وجهت اليهم ، نرى بعضهم يصر على رأيه ، ويروح يستغيث باللغـــة العربية للدفاع عن هذا الرأى، كأن اللغة ــ وحدها هى مصدر فهم القرآن ، لا النصـــوص العامة للشريعة ، ولو كانت كافية لاقتصرنا فى صلاتنا على الدعاء ، ومـــع ذلك فان اللغة العربية ليست نصيرا لهم فى هـــذا الفهم ، ولا نريد أن ندخل معهم فى هذه المناسبة ، بمناقشة لغوية قد تطول ..

لقد كان يكفى هؤلاء الكتاب للرجوع عن فكرتهم ، كلمة للخليفة الراشد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ..

قال شيخ الاسلام الامام ابن تيمية رحمـــه اللـــه ــ فى فتاويـــه (٣/٤٦١) « وقد ظن بعض القائلين الغالطين كابن عربى ، أن الخليفة هو الخليفة عن الله ، مثل نائب الله ، والله تعالى لا يجوز له خليفة . ولهذا قالوا لابى بكر يا خليفة الله ! فقال (لست بخليفة الله ، ولكنى خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . حسبى ذلك) رواه أحمـــد فى المسند (١/١٠/١١) بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره ، قال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهـــل ، اللهم اصحبنا فى سفرنا واخلفنا فى أهلنا ..

ولا يجوز أن يكون أحد خلفا منه (أى من الله تعالى) ولا يقوم مقامه ، انه لاسمي له ، ولا كفء فمن جعل له خليفة فهو مشرك به !! » .

والغريب — الغريب جدا — ان هؤلاء الكتاب المصرين على رأيهم فى أن الانسان خليفة الله فى الارض ، يروحون أيضا يقحمون — كما أقحموا اللفة — بعض آى القرآن الكريم لاثبات صحة ما ذهبوا اليه ، كأن أبا بكر — رضى الله تعالى عنه وكأن الامام ابن تيمية — رحمه الله — وقد رأيناهما يرفضان نسبة خلافة الانسان لله سبحانه — لم يفهما تلك الآيات !!

وقد استشهدوا على هذه الخلافة بقوله تعالى .

١ — (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) .

وهذه الآية حجة عليهم لا لهم بدليلين:

أولا ان الله سبحانه عرض هذه الامانة على السموات والارض والجبال فاذا كان الانسان هو خليفة الله فكيف عرض سبحانه هذه الامانة على غيره ؟!!

ثانيا — كيف يجعل الله الانسان خليفة فى الأرض ، ثم يقول عنه انه كان ظلوما جهولا ؟ ! .

٢ — ومن الآيات التي استدل بها هؤلاء الكتاب على هذه الخلافة قوله تعالى (اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون . الا ابليس استكبر وكان من الكافرين . قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالين ؟ ! قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين . قال فاخرج منها فانك رجيم) .

وليس فى هذه الآية حجة لهم فيما ذهبوا اليه . والغريب أنهم فهموا من قوله تعالى (ونفخت فيه من روحي) أى من روح الله نفسه مما جعلهم يتأكدون من هذه الخلافة ! مع أن المقصود من روحه التي خلقها ، والا كان الانسان جزءا من الله ، وهو سبحانه (ليس كمثله شيء) (ولم يكن له كفوا أحد) (وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين !) .

واذا كان لا يصح أن نقول ان الانسان خليفة الله ، فكذلك لا يصح أن نقول انه أفضل المخلوقات كما زعم هؤلاء القائلون بالخلافة ، ليدعموا حجتهم . ودليلنا على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه وهو على سمو مكانته لم يقل انني سيد المخلوقات ، بل قال (انني سيد ولد آدم) . ان هناك الملائكة السفره ، الكرام البررة الذين يستنسخون من اللوح المحفوظ . وليس لدينا نص صريح على أفضلية الانسان عليهم ولا العكس .

وليت هؤلاء الكتاب حاولوا فهم قوله تعالى (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون) .

ان هؤلاء الملائكة لو فهموا أن آدم خليفة الله ، لما تجرؤوا ، ولا توهموا أن خليفة الله سيفسد فى الأرض ، ويسفك الدماء ، انما فهموا أن آدم وذريته من البشر سيخلفون من سبقهم من المخلوقات الذين افسدوا فى الأرض ، قاله ابن عباس والحسن كما جاء فى تفسير الامام ابن الجوزى .

ومما لا ينبغي اغفاله بهذه المناسبة ان بعض المفسرين ظنوا أن سؤال الملائكة لربهم كان على وجه الاعتراض أو الحسد ، فقال السيوطى فى تفسيره على لسانهم (فنحن أحق بالاستخلاف) .

وهذا لا يليق بالملائكة . قال الامام ابن كثير ــ رحمه الله ــ « وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ، ولا على وجه الحسد لبنى آدم كما يتوهمه بعض المفسرين ، وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول ، أى لا يسألونه شيئا لم يأذن لهم فيه . وههنا لما أعلمهم بأنه سيخلق فى الأرض خلقا ــ قال قتادة ــ وقد تقدم اليهم أنهم يفسدون فيها ، فقالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) الآية . وانما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة فى ذلك يقولون : يا ربنا ما الحكمة فى خلق هؤلاء ، مع أن منهم من يفسد فى الأرض ويسفك الدماء ، فان كان المراد عبادتك ، فنحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ، أى نصلى لك ، كما سيأتى ، أى لا يصدر منا شيء من ذلك ، وهلا وقع الاقتصار علينا ؟ قال الله تعالى مجيبا لهم عن هذا السؤال : (انى أعلم ما لا تعلمون !) أى انى أعلم من المصلحة الراجحة فى خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون .. ا هـ باختصار عن تفسير ابن كثير .

ومن أعظم الأدلة على بطلان دعوى القائلين بأن الانسان خليفة الله فى الأرض قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث له لأحد قواده « واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله ، وذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله ، وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فانكم ان تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم ، أهون أن تخفروا ذمة الله ، وذمة نبيه . واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فانك لا تدرى أتصيب حكم الله أم لا ؟ » رواه مسلم .

نعود بعد هذا كله الى الآية التي اتخذها الكتاب المشار اليهم من أعظم حججهم على اثبات دعواهم من خلافة الانسان لله تعالى .

قال الامام ابن كثير ــ رحمه الله ــ فى تفسيرها (واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة) أى قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل كما قال تعالى (هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض) (ويجعلكم خلفاء الأرض) وقال (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون) وقال (فخلف من بعدهم خلف) .

ونقل القرطبى ما ملخصه عن زيد بن علي وليس المراد ههنا بالخليفة آدم عليه الصلاة والسلام فقط .. وعزاه القرطبي الى ابن عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل .

ومن العجيب أن هؤلاء الكتاب لم يقتصروا على جعل آدم عليه السلام خليفة الله كما يمكن أن يفهم بعضهم من ظاهر الآية . بل ذهبوا الى خلافة البشر كلهم مؤمنهم وكافرهم وصالحهم وفاسقهم ! .

ولا شك أن فكرة خلافة الانسان لله فى الأرض مأخوذة عن نظرية الحلول والاتحاد ونظرية القطب الغوث لغلاة الصوفية . فقد قال ابو الحسن الشاذلى « للقطب خمس عشرة علامة ، عد منها أن يمد بمدد العصمة ، والخلافة ــ وهو أن يكون خليفة الله فى الأرض ــ والنيابة ــ وهي أن يكون نائبا عن الحق فى تصريف الأحكام (١) » . الى غير ذلك من صفات الألوهية ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ! .

---

(١) معراج التشوف الى حقائق التصوف ص ٤٩ ــ ٥١ باختصار نقلا عن كتاب التصوف بين الحق والخلق للاستاذ محمد فهر الشقفه ص ١٠٠) . .

الحضارة الإسلامية

حضارة انسانية عالمية

لقد شهد العالم فى تاريخه الطويل حضارات مختلفة، كان يتلو بعضها بعضا فى تسلسل تحكمه قوانين الطبيعة ، وتضبطه قواعد المنطق وتسيره حكمة الله .

ومن الطبيعى أن تتأثر الحضارة اللاحقة بالحضارات السابقة ، ومن الطبيعى كذلك أن تقضى الحضارة القوية على ما يعاصرها من محاولات ضعيفة لحضارات أخرى ، وذلك بحكم تنازع البقاء من ناحية ، وبحكم البقاء للأصلح من ناحية أخرى ، فتاريخ الحضارات أيضا يفيض بأنواع من الصراع العنيف تساقط فيه الضحايا ، وتدق فيه الطبول للحضارة الغالبة التى تسعى دائما الى توسيع دائرة نفوذها ، وتهدف فى النهاية الى أن تصبح حضارة عالمية ، وقد تنجح فى ذلك وتظل اعلامها مرفرفة على أنحاء العالم حقبة من الدهر ، ولكنها بسبب بعض العيوب التى قد تعتورها بمرور الزمن ، أو قد تكون عيوبا متأصلة فيها — كثيرا ما تفشل أمام الحضارة الجديدة ، اذا كانت هذه الأخيرة أقل عيوبا ، أو أكثر جنودا أو اصلح للبقاء . وهكذا دواليك . حضارة جديدة ترث حضارة قديمة ، وتقضى عليها ، أو تطردها عن مركز الصدارة الى معزل قصى تستجمع فيه قوتها ، وتضمد جراحها ، أو الى قبر تاريخى تدفن فيه نفسها، وتضع فوقه الشواهد ليتحدث الناس عن ذكراها ، وذلك حسب ما فى الحضارة المغلوبة من عناصر الخلود أو عناصر الفناء ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وقد ظهر فى تاريخ الانسانية كثير من الحضارات التى استطاعت أن تصل الى

• انتشرت بسرعة ، وصمدت لمعارك الهدم
• على أهلها أن يبشروا بها ، ليعود الأمن والسلام للبشرية في ظلها

للدكتور كامل البوهى
مراقب الشئون الدينية
بالاذاعة ـ القاهرة

المستوى العالمي ، كالحضارة المصرية القديمة ، وهى حضارة أثبتت البحوث الحديثة أنها حضارة عربية ، كما أثبتت أن الفراعنة من أصل عربى جاءت به احدى الهجرات المتتالية من شبه الجزيرة العربية (١) وكالحضارة الاغريقية والرومانية ، ثم الحضارة الاسلامية التى اشرقت على العالم بنورها من أرض العرب ، وما لبثت أضواؤها أن انتشرت فى أنحاء العالم القديم كله .

وأخيرا هذه الحضارة الاوربية الحديثة التى استخدمت كل وسيلة لتسيطر على العالم بماديتها المسعورة ، ونجحت فى ذلك الى حد بعيد ، بسبب انزواء الحضارة الانسانية التى سبقتها حضارة الاسلام الذى غلب على امره أمام طغيان الحضارة المادية ، ومؤامرات اعدائه من مستعمرين ويهود ، وغفلة أهله عن جوهر حضارتهم ، وسر تقدمهم وسيادتهم ، « ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وكل دارس لهذه الحضارات العالمية يدهشه أن الحضارة الاسلامية ليست كغيرها من الحضارات المختلفة التى شهدها العالم منذ وجوده .

فلا توجد حضارة من تلك الحضارات انتشرت فى سرعة الضوء مثل الحضارة الاسلامية .

ولا تجد حضارة من تلك الحضارات مهما اصطنعت من وسائل نجحت فى أن تصبح عالمية بالمعنى الصحيح ، بحيث

(١) مجلة الوعى الاسلامى ـ العدد الاول ص ٤٤ وما بعدها ، الدكتور معروف الدواليبي .

تستقر فى نفوس الشعوب المختلفة والقوميات العديدة التى استقبلت اضواءها، وتحل محل حضارتهم وتصبح هى كل شىء بالنسبة لهم يضحون فى سبيلها ويفتدونها بأرواحهم كالحضارة الاسلامية .

فالحضارة المصرية القديمة مثلا كانت حضارة عالمية بمعنى انها كانت أقوى الحضارات فى عصرها ، وأنها أثرت فى الحضارات التى جاءت بعدها لا بمعنى أنها انتشرت فى العالم القديم كله ، وأن الشعوب الاخرى قد اعتنقتها وأستبدلتها بحضارتها وجندت نفسها للدفاع عنها .

وكذلك الشأن فى الحضارة الاغريقية والرومانية وغيرهما ، ولكن الحضارة الاسلامية حضارة عالمية ، بمعنى أن كثيرا من شعوب العالم غير العربية قد اعتنقتها، ونبذت فى سبيلها كل ما يتعارض معها ، وأصبحت جزءا من حياتها اليومية وكيانها المادى والروحى .

ولا توجد حضارة من تلك الحضارات حوت من عناصر الخلود ما عصمها من الفناء أمام التيار الجارف للحضارة الجديدة مثلما حوت الحضارة الاسلامية، فقد احتل المستعمرون الاوربيون العالم الاسلامى كله تقريبا ، ولم يكن هدفهم من هذا الاستعمار نهب الثروات المادية ، واستنزاف الموارد الاقتصادية فى تلك البلاد فحسب ، وانما كان القضاء على الحضارة الاسلامية واحلال الحضارة الاوربية مكانها من أهم أهدافهم ، كان استعمار النفوس من أكبر غاياتهم ، والغزو الفكرى من أخبث أسلحتهم . وقد نجحوا فى استنزاف كثير من موارد العالم الاسلامى ونهب ثرواته ، ولكنهم فشلوا فى القضاء على الحضارة الاسلامية العريقة ، كما أرادوا ، واضطروا الى الخروج من معظم بلاد العالم الاسلامى الذى أخذ يكتشف نفسه ، ويعتز بتاريخه ، ويبحث عناصر الخلود فى حضارته .

لقد امتازت الحضارة الاسلامية اذن على سائر الحضارات السابقة واللاحقة ، بسرعة انتشار أضوائها ، وباستقرارها فى نفوس الشعوب المختلفة ، والقوميات العديدة التى استقبلت اضواءها ، وباحتوائها على عناصر الخلود التى عصمتها من الفناء أمام التيار الجارف للحضارة المادية المسعورة .

ان الدلائل كلها تشير الى أن الحضارة الاسلامية سوف تعود الى مكانها من جديد بعدما بدت بوادر انهيار الحضارة الاوربية التى سيطرت على العالم فى الفترة الاخيرة بأسلحة من الدمار وحرب الابادة والتخريب .

ان بحث عناصر الخلود فى الحضارة الاسلامية له مجال آخر ، غير أننا نستطيع أن نجمله فى أنها حضارة انسانية عامة ، صالحة للحياة فى كل زمان ومكان ، وهى حضارة انسانية تعمل على سعادة الانسان ، حضارة بناءة تدعو الى السلام ، وتحارب التعصب، وتقضى على التمييز العنصرى ، وتعمل على توجيه الاسرة الانسانية كلها الى هدف واحد ، هو العمل الخالص الدائب فى سبيل مرضاة الله الذى لا يرضى عن الانسان الا اذا عمل فى سبيل بناء الحياة، وتقدم البشرية ، وسعادة الانسان .

من هنا كانت عناصر الخلود فى الحضارة الاسلامية هى نفس عناصر العالمية ، بمعنى أن الاسباب التى جعلت الحضارة الاسلامية تصمد امام كل وسائل التدمير التى استعملتها الحضارة الاوربية الحديثة هى نفس الاسباب التى جعلت الحضارة الاسلامية تنتشر فى بقاع الارض ، وتعم العالم القديم كله ، وتصبح حضارة عالمية تمتاز على جميع الحضارات التى سبقتها أو لحقتها بأن الشعوب التى استقبلت أضواءها ، وعاشت فى ظلها ، تعرف فضلها ، وتتمسك بها ، وتناضل فى سبيلها ، وتعتبرها حضارتها ، ولا تنظر اليها نظرة الحضارة الدخيلة ، كما نظرت كل الشعوب التى فرضت عليها الحضارة الاوربية الحديثة بالقوة الغاشمة الى أنها حضارة دخيلة ، وأخذت تقاومها ونجحت الى حد كبير فى التخلص منها .

كما تمتاز الحضارة الاسلامية على جميع الحضارات التي سبقتها أو لحقتها بأنها لم تمت حين تعرضت للمحنة ، ولم تستطع كل القوى المعادية أن تقضى عليها ، وانما انزوت قليلا لتضمد جراحها ، ثم نهضت لتؤدى دورها ، وتحتل مكانتها العالمية من جديد ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

لقد آن لنا أن ندرس حضارتنا الاسلامية فى أنحاء العالم ، نبرز مظاهرها ، ونعرض تاريخها ، ونتعرف على حاضرها فى مختلف القارات ، فان هذا هو دورنا نحن العرب والمسلمين ، لا دور المستشرقين خدام الاستعمار ومروجى الأكاذيب .

كم من الشعوب المسلمة فى أنحاء الأرض تتعلق ابصارها وقلوبها بالأمة العربية مصدر تلك الحضارة ، تنظر اليها وتنتظر منها أن تقوم بدورها القيادى مؤمنة كل الايمان بأنه اذا عز العرب عز الاسلام .

كم من الشعوب المسلمة فى أنحاء الأرض تقدس اللغة العربية – لغة القرآن – وتعتز بها أكثر من أعتزازها بلغاتها القومية ، وترجو للأمة العربية أن تقوم بدورها فى نشر لغة القرآن فى انحاء العالم الاسلامي كله .

بل كم من الكنوز التي خلفها علماء المسلمين فى أنحاء الأرض لا تزال تستصرخ الباحثين العرب ، وتنتظر الدراسة النزيهة والبحث العلمى الواعى (١) .

كم من المسلمين فى أنحاء الأرض ينبغى أن نعرفهم ، وندرس ماضيهم وحاضرهم ، ونتعرف على ما أسهموا ويسهمون به فى بناء الحضارة الاسلامية ، ونبحث امكانياتهم وحاجاتهم ووسائل التعاون معهم فى سبيل تحقيق أهدافنا الانسانية المشتركة ، فى سبيل الحضارة الاسلامية التي أثبتت صلاحيتها لكل زمان ومكان ، بما فيها من عناصر الخلود ، عناصر العالمية .

وسنبدأ بحثنا بالتعرف على الحضارة الاسلامية فى بلد لا يذكره الباحثون حينما يتكلمون عن الاسلام والمسلمين ، مع أن للاسلام هناك حضارة أصيلة عريقة ، وللمسلمين هناك جهادا من أنصع صفحات الجهاد ، فنبدأ البحث بالتعرف على الحضارة الاسلامية فى يوغوسلافيا ان شاء الله .

(١) أنظر « تاريخ الآداب العربية » لبروكلمان لترى العدد الضخم من الكتب العربية التي الفت فى غير البلاد العربية ، فى الهند والباكستان والصومال وافغانستان وسنغافورة والبلقان .... الخ .

مشكلة القضاء والقدر أو مسألة الجبر

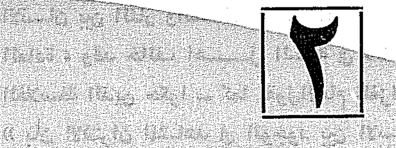
٢ ـ مدرسة القدرية الخالصة

اتباع معبد الجهنى ، وغيلان الدمشقى ، ومعبد الجهنى ـ كما يقول الذهبى فى كتابه ميزان الاعتدال ـ تابعى صدوق ثقة ، وهو أول من تكلم فى القدر ، وكان يجلس الى الحسن البصرى فى مجلسه بالبصرة . يروى أن معبد الجهنى وعطاء ابن يسار أتيا الحسن البصرى وقالا له . يا أبا سعيد هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم ويقولون ((انما تجرى أعمالنا على قدر من الله تعالى)) . فقال الحسن فى جوابهما ((كذب أعداء الله)) . ولما عظمت فتنته . بالبصرة عذبه الحجاج وصلبه بأمر عبد الملك بن مروان سنة ٨٠هـ ويروى الذهبى أن مقتله كان لأسباب سياسية ، بسبب اشتراكه فى ثورة عبد الرحمن بن الأشعث .

أما غيلان بن مسلم (أو مروان) القبطى الدمشقى ، فكان أبوه مولى لعثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ ويعتبر فى رأى أكثر كتاب الفرق المبشر الحقيقى لمذهب القدر ، وقد صلبه هشام ابن عبد الملك على باب دمشق ، ويقال ان هشاما صلبه حيا .

ويرى بعض المستشرقين (وخاصة . هـ . ريتر ، جوليان أوبرمان) أن المبشر الحقيقي لفكرة القدر هو الحسن البصرى شيخ التابعين وامام أهل السنة فى زمانه دون غيره من الناس ، ويؤيدون رأيهم بما ذكره ابن قتيبة فى كتابه ـ المعارف ـ من أن الحسن كان ((قد تكلم فى شىء من القدر ثم رجع عنه)) ، وما ذكره ابن سعد ((أن أهل القدر كانوا ينتحلون الحسن . وكان قوله مخالفا لهم)) ، وما ذكره الطبرى من أن الحسن زيفه القدريون ، وغير ذلك من الشواهد التى بها يستدلون على صحة ما ذهبوا اليه ، ويرون أن محاولة ابعاد تهمة القدر عنه ، جاءت متأخرة وكوسيلة لتبرئة ساحته منها باعتبار أنه كان شيخ أهل السنة .

ولكن الذى يمكن استنتاجه مما ورد عنه من أقوال تخرجه عن دائرة القدرية الخالصة ، فهو على العكس منهم كان يثبت القدر الالهى ، بمعنى علمه بما سيقع ، فقد جاء فى رسالته التى بعث بها الى أهل البصرة قوله ((من لم يؤمن بالله وقضائه فقد كفر ، ومن حمل ذنبه على ربه كفر ، أن الله لا يطاع استكراها ، ولا يعصى لغلبة ، لانه المليك لما ملكهم،والقادر على ما أقدرهم عليه)). ويرى الأستاذ مونتكمرى واط بانه من غير الصحيح اعتبار الحسن البصرى مؤسسا لفكرة القدر التى كانت نتيجة منطقية لحركة فكرية واسعة .



الدكتور / عرفان عبد الحميد
كلية الشريعة / بغداد

والاختيار في الإسلام

فكرتهم

ان القدرية الخالصة لم يقفوا عند اثبات القدرة والارادة للانسان فحسب بل تطرفوا فنفوا « القدر » بمعنى العلم والتقدير ، فيروى عن معبد الجهنى قوله « لا قدر والامر أنف » أى أن الانسان هو الذى يقدر أعمال نفسه بعلمه ، ويتوجه اليها بارادته ثم يوجدها بقدرته ، أى أن الله لا يقدر هذه الاعمال أزلا ، ولا دخل لارادته وقدرته فى وجودها فلايعلمها الا بعد وقوعها .

وقد أنكرت بقية الصحابة بدعة القدر أشد الانكار ونقموا على الذين ابتدعوها وذهبوا اليها حتى لقد كانوا يوصون الى أخلافهم بألا يسلموا عليهم ولا يعودوهم ان مرضوا ولا يصلوا عليهم اذا ماتوا ، لأنهم كانوا يرون أن من أصول أهل السنة ــ كما يقول الملطى ــ « وجوب الايمان بالقدر خيره وشره » وأجمعوا على أن « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » .

انتهت حركة الجبرية الخالصة بموت الداعى اليها ، كذلك ذابت حركة القدرية الخالصة تدريجيا ، وظهرت فى الفكر الاسلامى على أنقاضهما مدرستان حاولتا الابتعاد عن روح التطرف التى صبغت حركتى الجبرية والقدرية الخالصتين ، وانتهجتا سبيلا معتدلا وسطا كتب له الاستمرار والبقاء فى الفكر الاسلامى حتى اليوم، وهاتان المدرستان هما مدرسة المعتزلة والمدرسة الاشعرية .

مدرسة الاعتزال

الاعتزال مدرسة فكرية واسعة ، تضم اتجاهات فكرية متباينة متعاكسة ولكن المعتزلة أجمعوا على : ــ

أ ــ أن العباد خالقون لأفعالهم مخترعون لها ، وأن الله تعالى ليس له فى أفعال العباد المكتسبة صنع ولا تقدير ، لا بايجاد ولا بنفى .

ب ــ ومع ذلك فانهم لم ينكروا العلم الأزلى ، فان الله تعالى عندهم لم يزل عالما بكل ما يكون من أفعال خلقه لا تخفى عليه خافية ، فلم يزل عالما بمن سيؤمن وبمن سيكفر ، وهذا القول يخرجهم عن دائرة القدرية الخالصة التى نفت العلم الأزلى .

جـ ــ ان الانسان فاعل حر مختار ، يعمل بالقدرة الحادثة التى منحتها اياه العناية الالهية ويتصرف بها ويوجهها حسبما يريد ، وهذه القدرة تسبق الفعل ، وهى قدرة تصلح لفعل الضدين الفعل والترك .

د ــ قالوا أن أمر الله تعالى وارادته متلازمان ،



فقد أراد الله ما كان من الأعمال خيرا أن تكون وأمر بها ، فهو يريد منا اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وأن نوحد الله تعالى ونؤمن برسله ويأمرنا بذلك ، ولا يريد المعاصى ، فلا يريد الكفر والفسوق والعصيان ، ولا يأمر بها أى أن الله تعالى لا يشاء الشر ولا يريده ولا يأمر به ، بل هو من ارادة الانسان واختياره وفعله . وقد التزم المعتزلة هذه الأقوال لأسباب ثلاثة هى .

١ ــ اذا كان الله تعالى خالق عباده ، وكان العباد لا فعل لهم ، بطل التكليف الشرعي لأن الشرع عبارة عن أوامر ونواهى ، وهما فى مجموعهما طلب ، والطلب لا بد أن تسبقه القدرة والحرية والاختيار ، والا لأصبح الطلب تكليفا بما لا يطاق .

٢ ــ اذا لم يكن الانسان مستقلا بايجاد فعله ، لبطل العقاب والثواب الوارد بهما الوعد والوعيد ، اذ ليس الفعل مسندا اليه مطلقا حتى يمدح أو يذم .

٣ ــ اذا لم يكن للانسان حرية واختيار لم يبق لبعثة الأنبياء فائدة ، اذ البعثة دعوة والدعوة لا بد وأن تسبقها الحرية والاختيار .

٢ ــ مدرسة أهل السنة (الأشاعرة)

١ ــ أجمع أهل السنة على أن أفعال الانسان الاختيارية مخلوقة لله تعالى ، فلا أثر لقدرة العبد فى خلقها وايجادها ، وانما جرت العادة أن يخلق الله تعالى الفعل للعبد ، ويخلق فيه قدرة على اصدار ذلك الفعل للعبد ، فالفعل . ابداع واحداث لله ، وكسب للعبد . والكسب . عبارة عن الاقتران العادى بين القدرة الانسانية الحادثة والفعل ، فالله قد أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وارادته ، لا بقدرة العبد وارادته . وأجمعوا أيضا على أنه لا يوجد أى ارتباط ضرورى بين القدرة الحادثة والمقدور المتولد عنها ، فالعلاقة الظاهرة بين القدرة الحادثة والمقدور ليست على مذهبهم سوى علاقة عرضية جائزة منشؤها العادة وهذه العادة لا تستوجب ضرورة قط ، فاذا أراد الله خرق تلك العادة لم يكن فى ذلك حرج ما دام الله قادرا على كل شيء ، فيجوز (كما يقول البغدادى ملخصا وجهة نظرهم) أن يمد الانسان وتر قوسه ويرسل السهم من يده فلا يخلق الله تعالى فى السهم ذهابا ، وأجازوا أن يجمع الانسان بين النار والحلفاء فلا تحرقها على نقيض العادة ، وقد خالف أهل السنة فى ذلك قول الفلاسفة الذين حكوا ــ كما يقول الامام الغزالى ــ ((بأن الاقتران المشاهد فى الوجود بين الاسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة ، فليس فى المقدور ولا فى الامكان ايجاد السبب دون المسبب، ولا وجود المسبب دون السبب)) .

واذا قيل ان مبدأ التجويز والقول بخرق العادة يزلزل ثقتنا بمعارفنا وبما عليه الأشياء ، فكيف نثق بمعارفنا ؟ وما هى حدود المحال ؟ أجاب الغزالى (ممثلا لوجهة نظر أهل السنة) بأن من الممكنات فى مقدورات الله ما سبق فى علمه أنه لا يفعله ، ويخلق لنا العلم بأنه ليس يفعله ، أما المحال فهو الجمع بين الاثبات والنفى ، كالجمع بين الوجود والعدم ، أو كون الشيء الواحد فى مكانين فى وقت واحد من جهة واحدة ، وكل ما ليس كذلك فهو جائز ، وانما يستنكر لاطراد العادة بخلافه .

لقد صاغ الاشاعرة نظرية الجواز أو الاتفاق هذه لغرض التأكيد على قدرة الله العامة الشاملة واستقلاله بالفاعلية وسلب الاشياء وكذلك الانسان من قواه الفاعلة ، فمثلا تحريك الكاتب للقلم ، هو فى الحقيقة من فعل الله الذى يخلق عند تحرك القلم أربعة أعراض متتابعة ليس بين واحدها والآخر ارتباط سببى ، وانما هى متقارنة فى الوجود فحسب ، وهذه الاعراض هى الارادة والقدرة والحركة ــ يخلقها الله فى يد الكاتب ــ وأخيرا فعل التحريك ــ يخلقه تعالى فى القلم فيتحرك ، وهذه الاعراض يخلقها الله تعالى على التوالى طالما شاء ، اذ هى لا بقاء لها فى ذواتها ، لان العرض لا يلبث على مذهبهم آنين ، وانما يبقى ببقاء هو الآخر عرض يخلقه الله ويعدمه باستمرار . وقد ترتبت على هذه النظرية قضية دينية هامة ، وهى ان القول بفاعلية الاشياء ضرب من الكفر وانكار لفاعلية الله المطلقة ، لان الايمان الاصيل عبارة عن الاقرار بأن الله هو الفاعل الفرد الذى لا فاعل سواه .

٢ ـ أجمعوا على أن ارادة الله عامة تشمل كل الموجودات ، الخير والشر على حد سواء ، ولكنهم فصلوا وميزوا بين الأمر والارادة ، فارادة الشر لا تتضمن الأمر به ، وعلى هذا فارادة الله توافق علمه ، فكل ما علمه أزلا أنه سيكون فهو مراد له ، وما علم أنه لن يكون فهو غير مراد له .

أما تبريرهم لهذا المذهب فيتكون من نقاط .

١ ـ ان فعل العبد ممكن فى نفسه ، وكل ممكن مقدور لله تعالى ، لأن قدرته عامة شاملة ، ولا شيء مما هو مقدور لله بواقع بقدرة العبد لامتناع اجتماع المؤثرين على مقدور واحد .

٢ ـ لو كان العبد موجدا لأفعاله بالاختيار والاستقلال لوجب أن يعلم تفاصيلها ، ولما كان من المستحيل على الانسان الاحاطة بجميع وجوه الفعل ، اذ تصدر منه أفعال فى غفلته وذهوله وهى على الاتساق والانتظام وصفة الاتقان والاحكام والعبد غير عالم بما يصدر منه ، وجب أن يكون الصادر منه دالا على مخترعه ـ أى الله تعالى ـ .

٣ ـ ان العبد لو كان موجدا لفعله بقدرته واختياره استقلالا ، فلا بد أن يتمكن من فعله وتركه ، والا لم يكن قادرا عليه مستقلا فيه ، فلا بد أن يتوقف ترجيح فعله على تركه على مرجح ، اذ لو لم يتوقف عليه كان صدور الفعل عنه مع جواز طرفيه وتساويهما اتفاقا لا اختيارا ، ويلزم أيضا ألا يحتاج وقوع أحد الجائزين الى سبب ، وذلك المرجح لا يكون منه ، أى من العبد باختياره ، والا لزم التسلسل .

رأينا فى المشكلة

لا شك أن البحث فى مسألة الجبر والاختيار والتوفيق بينهما من أعقد المشاكل التي عرضت للعقل الانساني ، فهى ـ كما يقول المرحوم العقاد ـ « معضلة المعضلات فى جميع الأديان ومذاهب الحكمة والفلسفة ، لأنها مسألة الحرية الانسانية والارادة المختارة ، وهى فى الحق مسألة الانسان الكبرى فى علاقته الأبدية بالكون فلا نهاية لها الى آخر الزمان » ولذلك أيضا اختلف الناس حولها وصاروا فيها الى مذاهب شتى ، والذى دعاهم الى الاختلاف كما يقول ابن رشد « أن الأدلة العقلية حولها متباينة وظواهر النصوص فيها متعارضة ، وذلك أمر لم يأت عبثا بل كان مقصودا من الشارع لكى يوحى الى العلماء القادرين على فهم الكتاب والسنة فهما صحيحا ، بالحل الذى يجب أن يذهب الشبهة » . وبقدر ما يتعلق الموضوع بالاسلام ومعالجته للموضوع فاننا نسارع الى القول بأن الدين الاسلامي فرق وميز الجانب الشرعي التكليفي من المشكلة من جانبها الفكرى الفلسفى ، فلا نزاع بين المسلمين فى أن الشرع نظر الى الانسان كفاعل حر مختار ، ومن ثم أثبت الأفعال للعباد وحاسبهم عليها بما أقام من حدود وعقوبات .

لقد وجد المستشرقون فى التعارض الظاهرى فى نصوص القرآن الكريم المتعلقة بهذه المشكلة منفذا للهجوم عليه ووصفه بانه كتاب يجمع أشد المذاهب المتعارضة ، وفسروا الأمر تفسيرا ينتهى الى انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فيزعم هربرت كريمه ، وكولد زيهر ومكدونالد ، وشاخت ، ونيكلسون وغيرهم الى « أن المذاهب المتعارضة المتضادة التي عرضها محمد فى مسألة حرية الارادة والاختيار ترجع الى أزمان مختلفة من نشاطه النبوى ، وتتفق والتاثيرات التي أوحتها الظروف والأحوال المختلفة فى كل فترة من الفترات ، ففى الأزمان الأولى للعصر المكى كان يقبل تماما حرية الاختيار والسؤولية ، ولكن فى المدينة أخذ يتوغل شيئا فشيئا فى مذهب الجبر ، والتعاليم الأكثر جبرية ترجع الى الفترة الأخيرة » . ان هؤلاء المستشرقين ينسون أو يتناسون أن من أهم الآيات التي اعتمد عليها الجبرية من مثل قوله تعالى « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون » وقوله تعالى « وما تشاءون ألا أن يشاء الله رب العالمين » . وقوله تعالى « ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه » هى آيات مكية .

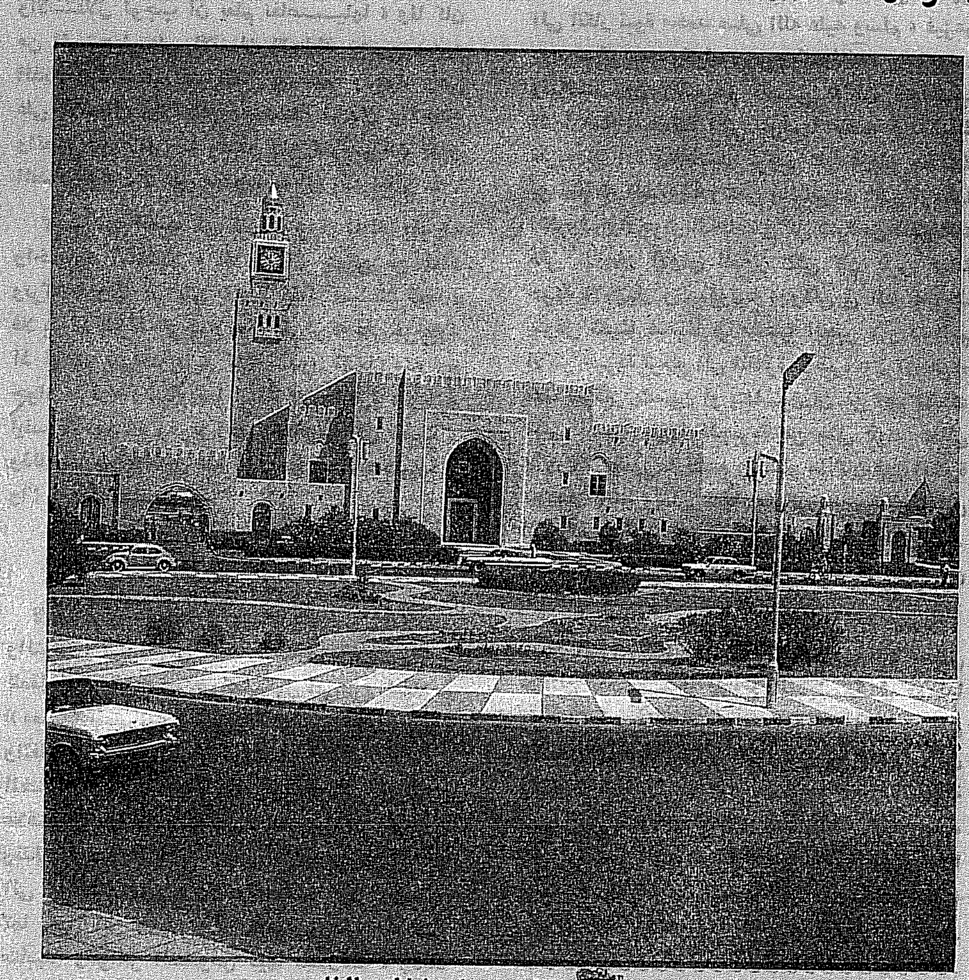
ان القرآن الكريم فى هذا الخصوص ، انما يعرض حالتين نفسيتين للروح التدينية فى موقفها من خالقها ، حالة الشعور بعظمة الله وقدرته حتى يتضاءل بجانبها شأن المخلوقات ـ كالانسان وغيره ـ فنجد آيات ظاهرها تفيد الجبر ، وحالة شعور الانسان أحيانا بقدرته الحادثة المحدودة ، ذلك الشعور الذى يجعل للقدرة التى يستشعرها فى نفسه بعض الحق فى التأثير على مقدوراتها ، ومن ثم نجد آيات يفيد ظاهرها الحرية والاختيار

البقية على ص : ٦٥

عيد

تحتفل الدولة بعيدها الوطنى فى الخامس والعشرين من شهر فبراير ، وبهذه المناسبة الوطنية أرسل الشاعر جاسم عبد الرحمن الجاسم بوزارة العدل هذه القصيدة يهنىء فيها الكويت أميرا وحكومة وشعبا بهذا العيد الاغر الميمون .

والوعى الاسلامى تنتهز هذه المناسبة الكريمة فترفع الى حضرة صاحب السمو الامير المعظم وسمو ولى عهده المحبوب ورجال حكومته والشعب الكويتى عامة أصدق آيات التهانى ضارعة الى الله عز وجل أن يعيد هذا العيد السعيد على البلاد بالرفاهية والعزة والسعادة .



قصر السيف العامر . على شاطىء الخليج
المقر الرسمى لصاحب السمو الامير المعظم

الكويت الأغر

للاستاذ جاسم عبد الرحمن الجاسم

حيوا الكويت وجددوا التذكـــارا   ما لاح بدر في السـماء وســارا

واستبشروا فالكل شعب فرحـــة   فالشعب حاز مكارمـا وفخـــارا

عيد البلاد قدمت خير مبشـــر   وتضوعت منك القلـوب نشـارا

وشدت على هام الغصون بلابـــل   تتلو المديـح عشـيـة ونهـــارا

وتبسمت فوق الوهـاد خمائـــل   وتفتحت أزهـــارها أنـــوارا

ياعيد قومي جئت بالذكرى لنـــا   والذكريـــات تجدد الأفكـــارا

هيا شباب القوم نحو فضائـــل   فمكارم الأخـلاق لا تتـــوارى

شدوا العزائم للمحامد والعــلا   فاز الذين تخطـوا الأسـوارا

ومعزة الأوطان في أبنائهـــا   إنهم أقامـوا للفخـار منـــارا

ان حان خطب أو ألم توجـــع   فالكل في ساح الوغـى ثـــوارا

إيه الكويت لنـا بعيدك بهجـــة   ونرى بعزك دائمـا أحـــرارا

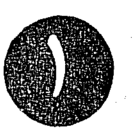
بقيادة الشهم الأبى أميـرنـــا   ترقى البـلاد وتدرك الأوطـــارا

يرعى مصالـح قومه بعزيمـــة   ويقيـم للدين الحنيـف شعـــارا

ومعـاهد قد أنشئت في عهـــده   ومساجد تدعـو الجميـع جهـارا

فليحفظ الله الأمـير وشعبـــه   وليبقـه طول المـدى مـدرارا





للأستاذ أنور الجندى

ما زال الاسلام قادرا على أن يعطى الفكر الانسانى ويأخذ منه ، شأنه دائما فى مختلف أدواره وخلال أربعة عشر قرنا . وقد أعطى كل من اتصل به سواء كان اتصال اندماج أو اتصال خصومة . أعطى هذه الأمم التي امتزجت به وأخذ منها واستوعب ثقافات الأمم السابقة له من يونان ورومان وهنود وفرس وانتفع بهـا . واستطاع أن يصبغ الحياة فى أوربا بطابعه ، منذ بلغت أضواؤه الأندلس وأقام فيها جامعاته العلمية التي امتدت آثارها الى فرنسا وايطاليا . وشكلت خميرة النهضة الغربية الحديثة فى مجال : العلم والفكر والحضارة . كما استطاع أن يمد لغته على الأرض كلها ، وأن يؤثر فى لغات العالم الاسلامي تأثيرا عضويا فى تركيبها الخاص ، وفى مضمونها أيضا ، فقـد كانت ثقافة القرآن هى مصدر الثقافة العربية الاسلامية خارج نطاق الأمة العربيـة فى كل مكان وصل الاسلام اليه ، وقد استطاع فى أشد أوقات أزماته السياسية وضغط القوى المعادية له (الحروب الصليبية وغزوات التتار والاحتلال الغربى) أن يفتح آفاقا جديدة ، وقبل أن تنتزعه القوى المجتمعة عليه فى الأندلس كان قد استطاع أن ينفذ الى أعماق جنوب شرق آسيا ، وأن يكسب فيها أتباعا جددا ، وقبل أن تزول دولته فى الامبراطورية العثمانية كان قد وسع آفاقه فى شرق افريقيا ووسطها .

وهكذا لا يتوقف الاسلام عن الامتداد ، ولا يرتبط بناموس الحضارات السابقة له التي يسقط فكرها اذا سقطت ، فهو ليس رباطا سياسيا متغيرا بقدر ما هو رباط اجتماعي مستمر ، غير أن ظاهرة جديدة ارتبطت بالنفوذ الاستعمارى فى خلال قرن وربع قرن تقريبا كان لها أثرها البعيد المدى ، تلك هى ظاهرة الحملة على الاسلام والفكر العربى الاسلامي واثارة الشبهات حوله والقاء التهم والشـكوك حول مفاهيمه وقيمه .

هذه الظاهـرة كانت بعيدة المدى فى

اتجاه المفكرين والكتاب الى « الدفاع عن الاسلام » ، الذى أصبح أشبه ما يكون بالمسوق الى قفص الاتهام . وفى تقدير بعض الباحثين أن هذه الحركة قد عطلت الدعوة الى الاسلام نفسه ، فأصبح المفكرون المسلمون فى شغل شاغل بالرد على الهجوم ، بدلا من الزحف للدعوة الى الاسلام ، والحق أن تحليل ما يوجه الى الاسلام من اتهام والرد عليه وازالة الشبهات المثارة وكشفها على نحو علمى عقلى دقيق ، ودون أن يطغى على ذلك طابع التعصب أو العنف أو الكتابة الحماسية أو العاطفية ، هو عمل من صميم « الدعوة الى الاسلام » ذلك أن هذه الاتهامات والشبهات لم تعد كلمات تلقى أو تذاع ، بل أصبحت نصوصا فى دوائر المعارف ومصادر الدراسات فى الجامعات ، والمدارس ، وهى مبثوثة فى المراجع الأساسية التي يلجأ اليها الأساتذة والباحثون فى العالم العربي ، فتجرى على أقلامهم دون تنبه اليها ، وهى بعد هذا كله سلاح يحمل لواءه خصوم العرب والاسلام من أجل القضاء على مقومات هذه الأمة .

ولذلك كان لا بد من تعقب هذه الشبهات ودراستها والرد عليها ، والكشف عن وجوه الخطأ والاضطراب فيها . وهو عمل ترجع أهميته الى أن النفوذ الاستعمارى يحاول اليوم أن يتخذ مكانا له عن طريق ثغرة قد يجدها فى مجال الفكر العربى ، حيث يستطيع أن يهدم عاملا أو أكثر من العوامل المكونة لمقومات هذه الأمة ايمانا منه بأن ذلك يضعف « القوة النفسية » التى تواجه نفوذه ويقضى عليه ، وليس معنى هذا أن الفكر العربى الاسلامي يغلق نفسه أبدا ، فهو لم يغلق نفسه طوال أربعة عشر قرنا ، وقد كان دائما مفتوحا على آفاق الفكر يأخذ ويعطى ، ويستوعب ويمتص ، على قاعدته الأساسية التي لا ينحرف عنها وهى أن الاسلام : دين ومدنية ، وقلب وعقل ، ودنيا وآخرة ، ودين وعلم وأن هذه العناصر تتزاوج وتتلاقى فى تكامل واضح ، وأن مصدر الاضطراب انما يجىء من انفصالها ، ذلك طابع الفكر العربى الاسلامي ، الذى بنى قاعدته الأولى على أساس « التوحيد » ، وسيادة الانسان على الكون تحت حكم الله ، قبل أن يلتقي بالفلسفات اليونانية والرومانية والهندية .

ومن هنا كان موقفه منها موقف حرية الاقتباس والتضمين ، فهو قد رفض كل ما يتعارض مع قاعدته الأساسية ، وقبل كل ما يزيده قوة على الحياة ، ويشحذ أسلحته فى سبيل الدفاع عن العقائد .

واذا كان الاسلام فى مضمونه الأصلي عصارة الأديان السماوية باعتباره خاتمها ، فانه فى مجال الفكر قد استطاع أن يذيب مختلف الثقافات الانسانية السابقة عليه فى كيانه ، دون أن يفقد مقوماته الأصلية ، ذلك أنه أساسا دين الانسانية والعالمية ، ومن هنا كانت قدرة الاسلام على الالتقاء بالثقافات والحضارات خلال عمره الممتد ، دون أن يصطدم بها . ومن هنا كانت مرونته فى مواجهة العصور والثورات والدعوات والمذاهب سواء فى داخل نطاقه أم فى خارجه ، دون أن يقضى عليه منها شىء .

والواقع أن « الاسلام » منذ ظهوره الى اليوم ، كان قادرا على الحياة والحركة مؤثرا فى مجرى التاريخ ، سواء فى أبان انتصاراته ، أو فى خلال فترة الضعف التي مرت به ، أم فى مرحلة اليقظة التي تمر به اليوم ، وحتى نقف على أساس ثابت فى هذا البحث علينا أن نواجه هذه الحقائق العشر :

أولا : ـ ان الاسلام كان مفهومه الصحيح الكامل : دينا ومدنية .

ثانيا : ـ ان وثيقة الاسلام الكبرى الخالدة « القرآن » قد حفظت من التحريف .

ثالثا : ـ ان الاسلام لم يتوقف عن الانتشار منذ بزوغ فجره حتى فى أشد أيام الصراع بين الاستعمار وبينه .

رابعا : ـ اكد الاسلام أهمية العقل ، وفضل العلم ، وجمع بين الاتجاهين المادى والروحى . ولم يكن عائقا عن التقدم .

خامسا : ـ التفسير التاريخي للاسلام يعطى مفهوما يختلف كل الاختلاف مع مقاييس الأديان والمذاهب المختلفة .

سادسا : ـ أبرز طوابع الاسلام بعد التوحيد : ((طابع الشمول)) .

سابعا : ـ استمرار قدرة الاسلام الدائمة المتجددة على البقاء ومنح الانسانية قيما جديدة .

ثامنا : ـ ما تزال ((اللغة العربية)) هى لغة الاسلام ثقافة والأمة العربية قومية ورسمية .

تاسعا : ـ ان دور العرب والمسلمين فى العلم والحضارة لا سبيل الى تجاوزه أو انكاره .

عاشرا : ـ ان الشريعة الاسلامية حية صالحة لكل زمان ومكان ، قائمة بذاتها وليست مأخوذة من غيرها .

١ ـ الاسلام دين ومدنية

ولقد واجهت الاسلام شبهة القول بأنه دين روحى ، ينظم العلاقة بين الله والانسان ، لا صلة له بالحياة والمجتمع ، وفى هذا محاولة لانكار مفهوم الشمول فى الاسلام على أنه دين ومدنية وقد واجه هذا كثير من الباحثين المنصفين .

تقول العلامة الدكتورة الزى لشننشاتر : الاسلام ليس دينا فحسب ، ولكنه أسلوب فى الحياة . والاسلام كدين له قيم خاصة ، وخير دليل على ذلك أن الأديان الأخرى لم يستطع أحدها أن يجد سبيله الى نفوس الأميين والفقراء من المسلمين أو الى نفوس المثقفين ثقافة عالية ، وانك لتجد علماء الذرة والحيوان والرياضة رغم بلوغهم هذه الدرجة العليا ظلوا مخلصين لدينهم الاسلامي ، وما من واحد من الطلبة المسلمين الذين يتلقون العلم فى أوربا تحول عن الاسلام الى دين آخر ، وان كان بعضهم قد استغرب فى انماط حياته ، ولم يحدث هذا عن مصادفة ، ولكن له دلالته القوية ، ذلك أن الاسلام له قيمه التى لا ترضى الجاهل فحسب ، بل التى تكفى حاجات المتعلمين والمثقفين .

ويقول موريسون : ان الحق الذى لا يمارى فيه أحد أن الاسلام أكثر من معتقد ودين ، وانما هو نظام اجتماعي ، تام الجهاز ، هو حضارة كاملة النسيج لها فلسفتها وتهذيبها وفنونها .

ويقول الدكتور بول ركلا : لقد آن لنا أن نعرف ويعرف العالم جوهر هذا الدين ، دين يجب ألا نكتفى بتسميته دينا ونقف ، بل لنعطيه اسمه الحقيقي ، ولنسميه فلسفة دينية ، فنكون قد أعطيناه مركزه بين الأديان ، ولست بمغال اذا صرحت علنا وقلت ان الاسلام مفتوح بابه على مصراعيه ، وهو واسع الأرجاء ، لتلقى الرقى الحديث الذى أنتجته الأجيال الطويلة ، وليس كما يزعم البعض بمحدود الأطراف وضيق المدخل ، لأن تعاليمه الرفيعة ، وضعت لمرور الدهور ، وستبقى خالدة وضاءة الأنوار ، تكشف كل مدنية تتمخض عنها العصور ، وان الاسلام هو الدين الوحيد بين جميع الأديان الذى أوجد بتعاليمه السامية عقبات كثيرة تجاه ميل الشعوب الى الفسق والفجور ، ويكفيه فخرا أنه قدس الأنسال وعظمها ، ليرغب الرجل بالزواج ويعرض عن الزنا المحرم شرعا وتشريعا ، وان الاسلام قد حل بعقلية عالية عادلة

أغلب المسائل الاجتماعية التي لم تزل للآن تشغل مشترعى الغرب بتعقداتها ، فالاسلام هو الدين الديمقراطي الوحيد سواء بتعاليمه أم بشرائعه أم بعاداته فهو لا يعترف مطلقا بالزعامة الدينية .

ويقول الدكتور جرمانوس : ان أوربا لم تعرف الاخاء بين الناس الا بعد الثورة الفرنسية بينما دعا الاسلام اليه وطبقه قبل ثورة فرنسا بنحو ألف عام ، لقد كانت فكرة المساواة والديمقراطية من ابتكار « القرآن » عرفتها أوربا فى القرن السابع عشر بينما هى من حقائق الاسلام وأصوله منذ نشأته .

٢ – وثيقة الاسلام الخالدة : « القرآن »

أما « القرآن » فقد ظل قادرا على التأثير فى الفكر العربي الاسلامي ، وفى الفكر الانساني عامة ، اذ كانت اجاباته على مختلف القضايا والمعضلات موضع تقدير الباحثين ، على أساس أنها قادرة على حل أزمة الانسان الحديث .

يقول فيليب دى طرازى : لسنا نعرف كتابا عربيا أثار هم العلماء والباحثين فى أربعة أقطار المسكونة كما أثارها مصحف القرآن منذ ظهور الاسلام الى اليوم ، تلك حقيقة صادقة لا تفتقر الى برهان يسندها أو حجة تدعمها ، ومن المقرر الثابت أنه لولا القرآن لما انتشرت اللغة العربية الفصحى فى الخافقين ، ولولا القرآن لما أقبل ألوف ألوف من البشر على قراءة تلك اللغة ، وعلى كتابتها ودرسها والتعامل بها ، فالقرآن عزز الجامعة العربية وصان عنصرها ، وضمن سلامتها على توالى الزمان ، ذلك أن الاسلام فرض على كل مسلم أن يدرسه(١) ويحفظه ويجود قراءته قبل أى علم من العلوم البشرية ، وهكذا حفظ التفاهم بين الشعوب الاسلامية وغيرها من الشعوب ، وقد استعصت اللغة العربية بفضله على نكبات الدهر ورسخت رسوخ الجبال الرواسى خلافا لما انتاب لغات الأقوام الذين اندمجوا فى العرب بعد الاسلام ، كالرومان والسريان والأقباط والأنباط والصابئة واليهود وغيرهم .

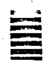
وفى تقدير العلامة « اتيان دينيه » أن القرآن قد حقق معجزة لا يستطيع أعظم المجامع العلمية أن يقوم بها ، ذلك أنه مكن اللغة العربية فى الأرض بحيث لو عاد أحد أصحاب الرسول اليوم الينا لكان ميسورا أن يتفاهم تمام التفاهم مع أهل اللغة العربية ، وهكذا عكس ما يجده مثلا أحد معاصرى (رابليه) من أهل القرن الخامس عشر الذى هو أقرب الينا من عصر القرآن من الصعوبة فى مخاطبة العدد الأكبر من فرنسيى اليوم . وان لغة القرآن وان كانت تمت فى أصولها الى عصور بعيدة قديمة فهى مرنة طيعة تسع التعبير عن كل ما يجد من المكتشفات والمخترعات الحديثة دون أن تفقد شيئا من رونقها وسلامتها .

ويقول ادوارد جيبون : ان القرآن مسلم به من حدود الاقيانوس الاطلانطيكي الى نهر الكانج بأنه الدستور الأساسي ليس لأصول الدين فقط بل للأحكام الجنائية والمدنية والشرائع التي عليها مدار حياة نظام النوع الانساني وترتيب شئونه .

ويقول العلامة « فينى » : ان القرآن ليس بكتاب دينى فقط بل كتاب علم وآداب، ونجد فيه بيان الحياة السياسية والاجتماعية حتى أنه يرشد الانسان الى وظائفه اليومية والأحكام السياسية التي ان لم توجد فى القرآن توجد فى السنة .

ويدافع « السير ريشارد وود » عن القول بأن القرآن حائل دون النهضة فيقول : ان القرآن يتضمن أحكام الدين وفى نفس الوقت يشمل الأمور المدنية

(١) ليس على سبيل الالزام لكل فرد من المسلمين (الوعى) .



والأصول السياسية ، وأن كثيرا من مؤلفي الافرنج يزعمون أن المسلمين لا يتسنى لهم التقدم والارتقاء في معارج الحضارة ما داموا مقيدين بنصوص القرآن التي يقولون انها لا تلائم المعارف واكتساب الفنون . وهذا وهم باطل نشأ عن الجهل بمقاصد القرآن ، ويكفي برهانا على بطلانه تاريخ صدر الاسلام وعناية علماء العرب بالمعارف والفنون ،ودرسهم كتب الحكماء والأقدمين » .

وتقول الدكتورة لورا فيشيا فاليري : **أن المعجزة التي تفوق كـل المعجـزات والتي وصلت الينا أخبارها من مصادر غير مشـكوك صـحتها هي « القرآن » فانه كتاب لا يستطيع انسـان أن يأتي بمثله ، اذ أن كل عبارة من عباراته متزنة منسقة مشتملة على معان كثيرة سـهلة المأخذ ، فلا هي كثيرة الايجاز ، ولا هي بالغة حد الاسهاب والاطالـة ، ولما كان أسلوب القرآن فريدا في بابه ، ولم يكن له مثيل سابق في الأدب العربي ، فانه يقع في النفس البشرية موقعا صحيحا لا تصنع فيه ولا افتراء ولا تمويـه ولا استكراه ، اذ أن آياته كلها على جانب عظيم من الفصاحة ، حتى ما كان منهـا خاصـا بالأوامر والنـواهي التي يجب منطقيا أن تكون في أسلوب هادئ ، كما أن سير الأنبياء وأوصـاف بدء الخلـق ونهايته ، والأحكـام ، وخصـائص الله وصفاته ، كل ذلك يتكرر ذكره في هذا الكتاب العجيب بأشكال وصور متعددة ، ولكـن دون أن يفقد شـيئا من روعته ومكانته، وكذلك فان الانتقال من موضوع الى موضوع في « القرآن » يحصل كثيرا ولكن بغير أن ينحط التعبير عن مستواه ودون أن تقل حلاوته ،كذلك فان التعمق وسلامة التعبير وهما صفتان يندر أن يجتمعا معا ، وقد ظهـرتا متجليتين في القرآن ، وفيما عدا ذلك فان كل صور البلاغة تجد تطبيقا كاملا في القـرآن ، فكيف اذن والحالة هذه يمكن القول بأن هذا الكتاب العجيب من صنع محمد ، الذي لم ينظم طوال حياته سوى بيت واحد من الشعر وهو « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » ، ولقد تحدى النبي قومه أن يأتوا بكتاب مثـل القـرآن أو بسورة واحدة منه ، ومع أن الفصحاء من العرب كانوا أكثر من رمل الصحراء فان أعداء الاسـلام لم يسـتطيعوا أن يعارضوا القـرآن ، ولكنهـم حاربـوه بالسلاح عندما لم يجرؤوا على محاربته بالكلام » .**

٣ ــ انتشار الاسلام

واصل الاسلام انتشـاره منذ فجره الى اليوم ، ولم يتوقف عن الانتشار حتى في أشد أيام الصراع بينه وبين الاستعمار ، وقد انتشر بقوته الذاتية وبفضل مبادئه التي تحمل التوحيد والحرية .

يقول تومـاس ارنولد (١) : ان كانت دولة الاسـلام قد انقسـمت وانهارت وحدتها السياسية فان فتوح الاسـلام الروحيـة قد بقيـت لا تحـول دونهـا الحوائل ، حدث هذا برغم اغارة المغول على بغداد ، وقيام حكام الأندلس بطرد المسلمين من الأندلس ، كان ذلك يجرى والمسـلمون يضعون أقدامهـم في أرض جديدة ، ويدخلون أهلها في دين اللـه ، تلك هي جزيرة سومطرة ، ثم كانوا على وشك أن يبدأوا تقدمهم الموفق في جزائر أرخبيل الملايو ، وهكذا أقام الاسـلام في ساعات أزمته السياسـية بطائفة مـن أعظم غزواته الروحية » .

ويقول العلامة مونتيه (٢) : في افريقيا أناس من المرابطـين هم دعـاة تبشـير

(١) كتابه : الدعوة الى الاسلام .

(٢) كتابه : حاضر الاسلام ومستقبله .

حقيقيون ،وهناك طرق دينية أخذت على نفسها نشر الاسلام ، على أن الاسلام ينتشر بنفسه بواسطة المسلمين أنفسهم ، لأن كل مسلم فى البلاد الوثنيه داعية دين بحد ذاته ، وقد أنشأ المسلمون قرى يسكنها المهتدون الى دينهم من المحدثين فى الاسلام ، والمدرسة احدى العوامل الفعالة . فهم على الجملة عندما ينزلون ويتوطنون فى بقعة جديدة يصرفون أولى عنايتهم الى انشاء مسجد ويجعلون بجانبه مدرسة .

« والمسلم ينشر دينه وهو متوفر على تجارته أو عامل فى صناعته ، والاسلام ينتشر بواسطة القوافل التي ترحل الى البلاد الوثنية ، ودعاة الاسلام فيما عرفوا من الغيرة يعمدون الى ذرائع مختلفة ، تناسب كل حال ، بحسب الأقطار والشعوب التي يبثون دعوتهم بين أهلها » .

٤ ـ الاسلام والعلم

وفى مجال الدفاع عن الاسلام : تبدو القضية الكبرى فى اتهام الاسلام باعاقة تقدم الثقافة والعلوم . ولسنا نحن الذين ندافع عن الاسلام ، ولكنا ندع بعض المنصفين من المفكرين الغربيين الذين فهموا الاسلام فهما صحيحا يتحدثون :

يقول اتيان دينيه : ان العقيدة المحمدية لا تقف عقبة فى سبيل الفكر فقد يكون المرء صحيح الاسلام ، وفى الوقت نفسه حر الفكر ، ولا تقتضى حرية الفكر أن يكون المرء منكرا لله . لقد رفع قدر العلم الى أعظم الدرجات وأعلى المراتب، وجعله من أول واجبات المسلم ، ويقول « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء ، ويرفع فضل العلم على فضل العبادة » .

ويقول الدكتور جرمانوس : أستطيع أن أجهر بمنتهى الجرأة بعد أن قرأت كتاب المسلمين المقدس وثقافة الاسلام بأنه لا يوجد فى تعاليم الاسلام كلمة واحدة أو عمل واحد من شأنه أن يعوق تقدم المسلم أو يمنع زيادة حظه من الثروة والمعرفة والقوة .

ويقول ليوبولد فايس : ما من دين ذهب أبعد من الاسلام فى تأكيد غلبة العقل وبالتالى غلبة العلم على جميع مظاهر الحياة .

ويرى العلامة منسر : أن بين الاسلام والعلم رابطة قوية ، فان الاسلام لم يزدهر الا بانتشار العلوم وتقدمها .

ويقول رينيه ميليه: لقد جاء المسلمون بمبدأ فى البحث جديد ، مبدأ يتفرع عن الدين نفسه ، هو مبدأ التأمل والبحث ، وقد مالوا الى العلوم وبرعوا فيها وهم الذين وضعوا أساس علم الكيمياء ، وقد وجد فيهم كبار الأطباء .

ويقول الدكتور فرنتورونتال : ان أعظم نشاط فكرى قام به العرب يبدو لنا جليا فى حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم ، فانهم كانوا يبدون نشاطا واجتهادا عجيبين ، حين يلاحظون ويمحصون وحين يجمعون ويرتبون ما تعلموه من التجربة » .

ويقول جوستاف لوبون : ان القرون الوسطى لم تعرف الامم القديمه الا بواسطة العرب ، وان جامعات أوربا عاشت خمسمائة سنة بكتب العرب ، وان العرب هم الذين مدنوا أوربا فى المادة والعقل والخلق ، وان الشعوب التي دانت الارض لسلطانها عفت الايام آثارهم ، ولم يبق سوى ذكريات ألسنتهم وأديانهم ، ولكن أهم عناصر مدنية العرب وهى الدين واللسان والفنون لا تزال حية . ولا شك أن العرب هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين .

للبحث بقية

القرآن وعلم

سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى

وقفنا فى حديثنا السابق عند حد ذكر بعض صفات الغلاف الجوى الذى يحيط بالأرض كما ذكرها القرآن الكريم . ويعتبر هذا الغلاف بمثابة السماء لنا ، لأن السماء لغة هى كل ما علانا وارتفع فوق رؤوسنا . ويساير القرآن الكريم نفس هذا المعنى فى كثير من الآيات ، اذ يقول على سبيل المثال .

١ ــ ((أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق)) ــ البقرة ــ .

٢ ــ ((وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم)) ــ البقرة ــ .

٣ ــ ((وأرسلنا السماء عليهم مدرارا ...)) ــ الانعام ــ .

٤ ــ ((وقيل يا أرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى)) ــ هود ــ .

٥ ــ ((وأنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها)) ــ الرعد ــ .

٦ ــ ((وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه ...)) ــ الحجر ــ .

٧ ــ ((وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)) ــ البقرة ــ .

الى غير ذلك من عديد الآيات الكريمة التي تشير الى أن طبقة الغلاف الجوى التي تثار فيها السحب وينزل منها المطر هى أيضا بمثابة السماء بالنسبة الينا .

وعندما يرتفع الانسان فى الجو مبتعدا عن سطح الأرض ، يقع تحت تأثير تغيرات عظمى فى عناصر الهواء التي ألفها على الأرض ، وعلى الأخص الضغط ودرجة

الفلك

للدكتور محمد جمال الدين الفندى
الاستاذ بكلية العلوم ــ جامعة القاهرة

يتبين لهم أنه الحق) صدق الله العظيم

الحرارة . وقد سبق أن وضحنا تناقص الضغط الجوى سريعا مع الارتفاع حتى يقارب الصفر على علو عدة مئات من الكيلومترات . أما درجة الحرارة فهي تخضع لسلسلة من التغيرات الواضحة التي تجعل جو الارض ينقسم بطبيعته الى عدة طبقات متميزة ، تختلف اختلافا بينا حتى من حيث التكوين .

ولم تكن طبيعة الاجواء العليا معروفة حتى عهد قريب . وعندما بدأ الانسان التطلع اليها ودراستها لم تتوفر لديه الطرق المباشرة للقياس والرصد الا أخيرا في عصر الفضاء عندما استخدم الصواريخ والأقمار الصناعية . وكان في أوائل هذا القرن يستخدم طرقا غير مباشرة مثل رصد الظواهر الضوئية التي تحدث في تلك الطبقات وتحليل أطياف الأضواء المنبعثة منها .

ومن أهم الطرق التي استخدمت في دراسة طبقات الغلاف الجوى تحليل طيف (الفجر القطبى) أو (الوهج القطبى) وهو الذى يسميه الفرنجة (الأورورا) . فانه عندما تطلق الشمس من سطحها أكداسا متلاحقة من الكهارب (أو الالكترونات) تعبر هذه الكهارب الفضاء الكونى بسرعة خارقة (عدة مئات الكيلومترات في الثانية الواحدة) الى أن تصل الى جو الأرض الخارجى فلا تستطيع اختراقه بسهولة بسبب مجال الأرض المغناطيسي الذى يضرب من حولها نطاقا في الفضاء القريب المحيط بها . وتتكدس معظم هذه الكهارب قرب القطبين في أعالى الجو الممتد من ارتفاع نحو ١٠٠ الى ١٠٠٠ كيلو متر .

وعندما تتصادم غازات الطبقات العليا المخلخلة تنطلق أنوار الوهج القطبى

الجميلة الخلابة التى تتدلى على هيئة الستائر ، فيعطى الأوكسجين اللون الأخضر ، كما يعطى الأزوت اللون الأحمر .

وعلى أية حال قسم العلماء الغلاف الجوى الى أربعة طبقات رئيسية هي :

أولا : الطبقة الدنيا ، وهي التي تحدث فيها تقلبات الجو ، وتسمى علميا (التروبوسفير) ، وفيها تتم الدورة ما بين السماء والأرض ، اذ تتراكم فيها الابخرة الصاعدة من البحار والمحيطات حتى تكون السحب التي ينزل منها المطر ليعود ماؤه الى المحيطات والبحار من جديد عن طريق الأنهر والمياه الجوفية والمطر المباشر على البحار ... الخ .. وهكذا .

ولعل خير تعبير عن هذه الدورة التي لم يعرفها الناس الا حديثا فى عصر العلم قوله تعالى فى سورة الحجر : « **..فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين** » ، أى أن هذا الماء يجدد باستمرار ولا يختزن ، وهي حقيقةعلمية رائعة سبق بها القرآنالكريمالركببأكثر منألفسنة،فهلبعد ذلك مناعجازعلمى؟! نعم اننا مهما خزنا الماء فانه يعود الى البحر ليتبخر من جديد .

ثانيا : المنطقة ذات الطبقات وهي تعلو الطبقة الدنيا ، وتسمى كذلك (الطخرورية) ، وامتدادها من علو نحو ٢٠ كيلومترا الى علو نحو ٨٠ كيلومترا . وبينما نجد أن درجة الحرارة فى الطبقة الأولى تنخفض مع الارتفاع بمعدل قدره نحو ٦ ١/٢ درجة مئوية لكل كيلو متر فى المتوسط ، اذا بها ترتفع فى هذه الطبقة بسبب تراكم غاز الأوزون فى أواسطها . ويمتص الأوزون جانبا كبيرا من الأشعة فوق البنفسجية التي ترسلها الشمس ، ويحول دون وصولها الى سطح الأرض ، وبذلك فهو يعمل على حماية الأحياء على السطح من هذه الأشعة المحرقة الفتاكة ، فسبحان المبدع الذى سخر ما فى الأرض والسماء لمنفعة البشر .

ثالثا : المنطقة المتأينة ، أى المحاللة الى عناصرها الكهربية ، وتسمى علميا باسم (الأيونوسفير) . وقد تسمى هذهالمنطقة كذلك بأسم المحيط الحرارى ، نظرا لأن درجة الحرارة ترتفع فيها الى عدة مئات من الدرجات بسببامتصاصالأوكسجين الذرى للأشعة فوق البنفسجية التى ترسلها الشمس أيضا . وتمتد هذه المنطقة الى ارتفاع نحو ٦٠٠ كيلو مترا ، وفيها تتبخر الشهب أو تحترق .

رابعا : المنطقة الخارجية وهي التى تصل الى الفضاء الكونى .

ويحمينا جو الأرض من اشعاعات الشمس القاتلة ، ويدرأ عنا أهوال الفضاء . ومن أكبر الأهوال خارج نطاق جو الأرض الأشعة الكونية التي ترسلها الشمس ، وهي أشعة لا دخان فيها الا أنها تحرق الأحياء وتميتهم فى لحظة عين ، أى أنها أشد فتكا من النار التي نألفها على سطح الأرض ، ومن اللازم أن يعمل العلماء على حماية رواد الفضاء داخل مركبات خاصة لا تسمح جدرانها بنفاذ هذه الأشعة الى الداخل .

ومن أهوال الفضاء كذلك أسراب الشهب التي تهيم فى الفضاء الكونى وتهوى بلا هوادة الى جو الأرض العلوى .

ويتساقط الى جو الأرض فى اليوم الواحد آلاف الملايين من الشهب ، أغلبها حبات دقيقة من الرمال تجرى فى مسارات حول الشمس بسرعة تقارب السرعة الفلكية (أى من نحو ١٠ الى نحو ٥٠ كيلو مترا فى الثانية الواحدة) . وعندما تقترب هذه الأسراب من الأرض تقع تحت طائل جاذبيتها ، فتبدأ الدوران فى مسارات جديدة من حولها ، وبذلك تقطع الغلاف الجوى وتحتك به مولدة حرارة عظمى تكفى لانصهار تلك الأتربة والرمال وتبخيرها فى أعالى الجو .

وما النجوم التى نراها تهوى وتنقض أثناء الليل فى كبد السماء ثم تختفي سوى مسارات تلك الغازات الملتهبة على أبعاد تتراوح بين ١٠٠ و ١٠٠٠ كيلو متر من سطح الأرض كما قدمنا ، وفى السنين الأخيرة عندما تقدمت طرق رصد الشهب وتصويرها ، اتضح أنها فى الأصل أضواء من المجموعة الشمسية تسبح حباتها فى أسراب متتابعة من حول الشمس ، شأنها فى ذلك شأن سائر الكواكب السيارة ، الا أن مساراتها ضيقة ، وتزداد مقاديرها بالاقتراب من الشمس.

ونحن عندما نحاول أن نجمل أهوال الفضاء فى هذه الكلمات المختصرة ، ونوضح أن الغلاف الجوى الذى جعله الله تعالى لنا سقفا واقيا ودرعا حاميا من هذه الأهوال التي تنتظر سبيل رواد الفضاء ، ممثلة فى الأشعة الكونية ، والأشعة فوق البنفسجية التي ترسلها الشمس ، وفى الشهب والنيازك التي يعج بها الفضاء القريب ، نقول أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن عالما من علماء الفضاء ، ولا خبيرا من خبراء الجو ، عندما نطق بالآيات الشريفة الآتية :

١ ـ ((الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين)) الحجر .

٢ ـ ((الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب)) الصافات .

٣ ـ ((فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا)) الجن .

٤ ـ ((وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا)) الجن .

وتبين هذه الآيات الكريمة حقيقة أن الشهب تسبح فى سماء الأرض القريبة وأن الفضاء يعج بها ويمتلىء . والمشاهد أنها تظهر لنا أثناء الليل كخطوط مضيئة عبر السماء ، وكثيرا ما تسمى (النجوم الهاوية) . وهي جسيمات صغيرة من المادة تنساب فى مجموعات أو أسراب خلال الفضاء الكونى وتدور حول الشمس حتى تقع تحت طائل جذب الأرض ، وعندئذ تقبل اليها وتهوى نحوها مخترقة أعالى جوها ، فيبيض لونها بسبب الحرارات العالية التي تتولد فيها عندما تخترق الغلاف الجوى وتحتك به . وما الخط الضوئي الذى يتخلف من وراء الشهب سوى جسيمات ساخنة الى الحد الذى يجعلها تشع اللون الأبيض .

ويدخل جو الأرض العلوى كل يوم فى المتوسط نحو ٢٠ مليون شهاب تحدث خطوطا ضوئية يمكن مشاهدتها بالعين المجردة أثناء الليل . وعندما ندخل فى الحساب تلك الخطوط التي تبلغ من الاعتام الدرجة التي تستلزم استخدام المناظير الفلكية المكبرة نجد أن القدر الكلى للشهب أضعاف أضعاف العشرين مليونا . ويقدر بعض العلماء أن كتلة الأرض تزداد فى اليوم الواحد بسبب الشهب هذه بنحو ٤ آلاف رطل .

وأنت ليس من اليسير عليك أن تخرج من مسكنك المضىء وتتوقع رؤية الشهب فى الحال ، اذ من اللازم أن تعتاد عيناك أولا الظلام وتألفاه . وتستلزم هذه

العملية نحو ٢٠ دقيقة لدى الكبار فى السن وأقل من ذلك بكثير لدى الصغار .

وتنطلق الشهب فى الفضاء بسرعات فلكية تجعل الطاقة التي تحملها حبة لا تزيد فى حجمها عن حبة الرمل تعادل الطاقة التي يحملها رصاص البندقية ! .

ومن الطبيعي أن تكون درجة الحرارة الداخلية لجسم الشهاب الكبير وهو فى الفضاء الخارجي منخفضة جدا ، الا أنه عندما يدخل جو الأرض يسبب الاحتكاك ارتفاع درجة حرارة جسيمه الخارجي ارتفاعا كبيرا ، بينما يظل الداخل باردا ، وينجم عن عدم التساوى فى التسخين على هذا النحو انفجار الشهاب وتفتته بصوت مرتفع يمكن سماعه على مساحة واسعة .

وعلى الرغم من أن متوسط سرعة الشهب فى الفضاء هى نحو ٢٦ ميلا ، الا أن هذه القيمة ليست هي السرعة التي تصادم بها غلاف الأرض الجوى . فالأرض تجرى فى مسارها حول الشمس بسرعة متوسطها ٥و١٨ من الأميال فى الثانية ، وعلى ذلك اذا صادف ودخل الشهاب جو الأرض وهى تجرى فى الاتجاه المضاد تكون سرعة التصادم هي :

٥و١٨ + ٢٦ = ٥و٤٤ ميل فى الثانية .

أما اذا كان الشهاب يسير مع الأرض ولحق بها فان سرعة التصادم تعادل :

٢٦ — ٥و١٨ = ٥و٧ ميل فى الثانية .

وتكون الشهب أهم العقبات فى أسفار الفضاء ، والمعروف أن كل مسار من مساراتها التي تتوفر فيها هو فى الأصل من حطام المذنبات القديمة التي تعرف عندنا باسم (النجوم ذات الذيول) أو بلغة العامة (النجمة أم ديل) ويظهر المذنب فى العادة كجزء مخيف فى السماء له رأس متوهجة يتبعها ذيل طويل من اللهب . ويقول العلماء انه عندما ينطلق المذنب بعيدا عن الشمس يبرد حتى أن معظمه يصير مجرد بلورات من الثلج داخلها مواد معدنية وصخرية مغمورة فى قلب المادة المتجمدة ببرودة الفضاء الخارجي. ولكن عندما يقترب المذنب من الشمس يسخن ويزداد لمعانه ويتكون له ذيل قد يبلغ طوله عدة ملايين من الأميال، مثل ١٠٠ مليون ميل الذى هو طول أحد المذنبات التي ظهرت فى عصرنا الحديث ، وقد كان فى منتصف القرن الماضى طوله ٣٠٠ الف مليون ميل . وكلما اقترب المذنب من الشمس امتد الذيل متخلفا وراء الرأس على هيئة سحابة سديمية . وعندما يبتعد المذنب عن الشمس يتناقص حجم الذيل الى أن يختفى تماما فى أعماق الفضاء ، هذا كما تنفصل عن رأسه حبيبات رمل وفير وجسيمات مختلفة الحجم والصفات تنطلق فى حزم كثيرا ما تعرف باسم شاطىء المذنب المتلىء بالحصى والرمال .

ونحن نكاد نجهل مصدر المذنبات ، وقديما كانت تسمى (كاسحات السماء) . ومنطقة المجموعة الشمسية تعج اليوم بملايين المذنبات (أى آلاف الملايين) ، ويحدث من حين الى آخر أن يدخل واحد منها فى مسار من حول الشمس تحت تأثير جاذبيتها ، فيظهر يجوس خلال الكواكب السيارة ، فيظهر تارة ويختفى أخرى .

وآيات الذكر الحكيم التي صدرنا بها هذا المقال تشير الى ما يعترض سبيل الجن وأفراده من أهوال الفضاء عندما يحاولون مغادرة الأرض ، على غرار محاولات البشر اليوم بعد النجاح فى استعمال المحركات الصاروخية كوسيلة للسفر فى الفضاء الكونى مثلا . ونحن نعرف أن لكل انسان كتلة أو ثقل ، ينبئنا القرآن الكريم أن هذا هو أيضا شأن أفراد الجن اذ يقول فى سورة الرحمن :

((سنفرغ لكم أيه الثقلان)) .

وكل جسم له ثقل يخضع للجاذبية ، أى تمسكه الأرض اليها كما تمسك سائر الأجسام لقبضة جاذبيتها .

وتتبادل هذه الجاذبية بين الأجسام وبعضها كذلك ، خصوصا فى الفضاء الكونى . والاعجاز العلمي فى هذه الآيات واضح الى حد كبير ، خصوصا بعد الذى قلناه عن الشهب ووصفناه من خواصها وسرعتها ومقاديرها فى الفضاء الذى يحيط بالأرض ويفصلنا عن مجموعات النجوم الأخرى . فعابر الفضاء لا بد أن يتعقبه شهاب أو سرب من الشهب ، أو يعترض سبيله على الأقل ، وبذلك يتعرض لهذا الخطر الداهم ، بالاضافة الى أخطار أخرى عديدة .

وفى النصف الأول من القرن الماضى انسابت الى سماء أرضنا أكداس من الشهب بلغت ٣٥ ألف شهاب فى الساعة الواحدة ، حتى ملأت الآفاق والجو العلوى بالشهب ، وظهر بعضها على هيئة كرات نارية فى حجم القمر ، وخلفت من ورائها ذيولا ملتهبة كانت تمكث من ١٥ الى ٢٠ دقيقة قبل أن تتوارى فى ظلام الليل . ونحن عندما نذكر هذه الحقائق العلمية انما نقصد من وراء ذلك ان يكون القارىء الكريم لنفسه فكرة عن أسراب الشهب التي تملأ الفضاء المحيط بنا والتي ورد ذكرها فى القرآن الكريم .

وأحيانا يصادف أن تبدو الشهب فى منظرها العام كأنما هى تجىء الينا وتفد من ركن معين فى السماء . ويطلق العلماء على مثل هذا الركن اسم (منطقة التألق) وعادة تكون مسارات الشهب المرصودة بالقرب من هذه المنطقة قصيرة . أما تلك التي ترصد فيها فانها تظهر عديمة الحركة أى على هيئة ضوء ينير ثم يختفى ، نظرا لأن الشهب تكون فى خط نظر الراصد وتتحرك نحوه مباشرة فلا يلاحظ حركتها .

وبطبيعة الحال لا يفوتنا أن نذكر هنا أن ما قلناه عن الشهب فى هذا المقال انما هو الجانب العلمي فقط على حد دراستنا وأرصادنا حتى اليوم . ولكن كلما تقدم ركب العلم كلما اتسعت آفاق معرفتنا ، خصوصا بعد غزو الفضاء بواسطة الأقمار الصناعية ، وسفن الفضاء التي تحمل معها معدات الرصد المختلفة .

واليوم يعطى العلماء دراسة الشهب أهمية عظمى لزيادة معلوماتنا عنها . ولكن القرآن الكريم قد سبق ركب العلم بما ذكره من قضايا عامة عنها وما قرره من أنها تعترض سبيل رواد الفضاء من الجن ، وبقى علينا أن نعرف تركيبها ومساراتها ومصادرها وتجمعاتها وأخطارها ... فى عصر الفضاء . فسبحان القائل جل شأنه :

((سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)) .



بقلم : الاستاذ ع . ن

الصحافة والدين

كانت فكرة طيبة وعملا ناجحا ذلك الذى عملته صحيفة الاخبار القاهرية من تخصيص صفحة من صفحاتها للدين طوال شهر رمضان ، فكانت مائدة روحية شهية حرصت على ألا يفوتنى يوم دون أن اقرأها ، وأنا شديد الاعجاب بما تقدمه من معلومات متنوعة بأقلام متعددة ، كانت خطوة كريمة أهنىء عليها الاستاذ جلال الدين الحمامصى والقائمين على الاخبار والمحررين الذين قدموها ، وحبذا لو استمروا على تقديم هذه الصفحة الناجحة كل يوم طوال السنة كما يقدمون صفحات الرياضة وغيرها يوميا ..وأنا أعرف عن الاستاذ جلال عنايته بهذه الناحية فقد كان هو صاحب فكرة باب ((دين وثقافة)) الذى كنت أقدمه فى صحيفة ((الجمهورية)) حين كان يرأس تحريرها سنة ٥٨ ، ١٩٥٩، فلما انتقل للاخبار أردنا ـ أنا وهو ـ أن نقدم هذا الباب فيها بعد أن توقف فى الجمهورية، ولكن حالت ظروف دون ذلك . ولعله لا يزال يذكر حديثه معى ، والحديث الذى دار فى مجلس رؤساء تحرير صحف الأخبار حينذاك عما دلت عليه الاحصائيات من أن أكثر الابواب قراءة فى الصحف هو الباب الدينـى ...

أذكره الآن بهذا لعله به وبما لمسوه من التجربة التى قدموها خلال شهر رمضان يستمرون فى تقديم هذه الصفحة يوميا .. باعتباره عملا صحفيا ناجحا .. من جهة .. ومشاركة فى بث الوعى الدينى الذى يعتبر أقوى الحوافز على الخلق الكريم والعمل الناجح والانتاج الوفير من جهة أخرى .

ولا أنسى فى هذه المناسبة التجربة الناجحة التى قامت بها الجمهورية منذ نحـو سنة ، وهى تقديم ملحق دينى مستقل من ثمانى صفحات كل يوم جمعة ، وأرجو من القائمين على الجمهورية أن يخرجوه كما كان فى ثمانى صفحات بالحجم الاول لا بالحجم الذى أخرجوه به أخيرا ...

ان الشعب المسلم فى كل مكان بحاجة ماسة الى الوعى الاسلامى .. وقد دأبت صحفنا فى كل دولة على أن تقدم للقارىء كل شىء الا هذا الوعى مـع شـدة الحاجـة اليه ، والمجلات الاسلامية المتخصصة ـ كما نعلم ـ ليست مثل الصحف اليومية فى الانتشار والتوزيع : ومن هنا نلمس جميعا ما يجب على الصحف اليومية فى كل البلاد الاسلامية من الاضطلاع بتقديم هذا الوعى لقرائها ، خدمة منها لدينها وأوطانها .

الكوكا كــولا

صدر قرار لجنة المقاطعة التى انعقدت أخيرا بالكويت بحظر التعامل مع شركتى ((كوكاكولا وفورد)) وغيرهما لانها أقدمت على التعامل مع اسرائيل غير مبالية بشعور عشرات الملايين من العرب متخيلة أنهم لا يستطيعون التخلص من مشروبها أو مـن ركوب سياراتها ، أو أنهم لا توجـد لديهم العزيمة لمجابهة استهتارها هذا بمقاطعـة اجماعية .. ولكن صدر قرار اللجنة الذى التزمت بتنفيذه كل الدول العربية .. ومع ذلك فسيارات ((الكوكاكولا)) توزعها كما كانت من قبل .. ويقال ان لدى الشركة مخزونا يكفيها لسنين .. ومعنى هذا أنها ستظل توزع كأنه لم يحدث شىء .. وبعد هذه المدة ((يفرجها الله)) !!

وقد سمعت كثيرا من الناس يتساءلون : لم تبقى هذه الشركات تبيع منتجاتها عندنا مع أن القرار صدر ؟ !

وأحب أن أقول لهؤلاء الذين يشترونها ويستهلكونها افرضوا أن النظام يقضى بأن تبقى الشركة حتى تصرف المخزون لديها .. فما هو دوركم أنتم .. وما دور الشعب العربى المســلم المستهلك ؟

لماذا يقف موقفا ايجابيا من الشركة ويشــترى ما تنتجه ؟ لماذا لا يرفض مثلا شرب ((الكوكا كولا)) وشراءها ؟

ان فى يده وحده الحل السريع الحازم .. انه لو رفض الشراء لرجعت السيارات الى المصانع محملة بما خرجت به .. ولتوقفت المصانع الخاصة بها .. واضطرت الشركة الى التخلص من هذه المصانع حتى لا تتحمل مصاريفها ومصاريف العمال والموظفين بها .. وحينئذ تشعر بجدية المقاطعة ووقعها ..

هذا دور الشعب الذى يستهلكها ويدفع ثمنها .. وهو دور حازم وسريــع وفعال كما قلت . فلماذا لا يتقدم ويحمل دوره ؟ وهو فى غاية السهولة .. ولا يكلفه شيئا بل مجرد الامتناع عن شراء هذه السلعة والاكتفاء بغيرها .. وهو كثير ..

أمر فى غاية البساطة ولا يريد الشعب أن يقوم به .. ثم نجد الكلام هنا وهناك لماذا تبقى منتجات هذه الشركات بيننا ؟ .. لماذا تتركها الحكومة ولا تنفذ .. ؟ !! كـل شىء على الحكومات ، واللوم على الحكومات حتى ولو كان زمام الموقف فى يد الشعب !! ولو كان هذا الموقف لا يكلفه من أمره عسرا !!

لقد كان من الواجب على كل فرد حين صدر قرار اللجنة أن يصدر قراره هو الآخر بالامتناع عن معاملة هذه الشركات ودفع ماله فى منتجاتها ليذهب الى أصحاب هذه الشركات هناك .. هؤلاء الذين استهتروا بشعورنا .. بشعور عشرات الملايين من أجل اسرائيل ! !

أتدرى يا أخــى المعنى الذى يحمله شراؤك لها حتى الان ؟

فكر فيه قليلا .. فاننى لا أريد أن أشرحه لك لانه مفهوم .. مفهوم جدا ..

ولا توجه اللوم لغيرك قبل أن تلوم نفسك وتصحح موقفك ..

معنى العيد

تبادل التهانى بالعيد سواء أكان بالزيارات أم بالرسائل ، من المظاهر الكريمة التى تحيى فى النفوس الشعور بمعنى العيد وبهجته ، كما تجدد الصلات الطيبة بين الاقارب والأصدقاء ، وتقوى أواصرها ، واذا كان الاطفال يجدون فى لعبهم وملابسهم الجديدة وملاعبهم وملاهيهم بهجة العيد ولذته ، فان الزيارات والاجتماعات والرسائل هى التى تحقق معنى العيد لدى الكبار .. وتذكرهم بالقريب والبعيد ، وتفتح القلب للصديق وغير الصديق ...

وتقوى هذه المعانى حين تكون مع التعارف الشخصى صلة روحية ، ومحبة قلبية ثم تبلغ ذروتها وكمالها ، وجمالها وجلالها حين لا يكون بين الاثنين معرفة شخصية ، ولكن معرفة معنوية ، وود روحى جمع بين قلبيهما ، وحمل كلا منهما على أن يمسك القلم ليكتب الى صديقه الذى لم يره ، ولكنه أحبه ، وتلاقت روحه مع روحه ، وهدفه مع هدفه . هنا يكون حقا معنى الصفاء والوفاء . الوفاء للمعانى ، للأعمال ، لا للاشخاص ...

ولقد تلقت « الوعى الاسلامى » سيلا من التهانى أرسلها أصدقاؤها وقراؤها من جميع أنحاء العالم : الشرقى والغربى .. فكانت عيدنا فى العيد ، وفرحتنا بالاسرة الروحية الكبيرة التى تجمعت حول الوعى الاسلامى ..

فالى هؤلاء الأحباب جميعا – بقدر ما أحسسنا من فرحة بتهانيهم – اليهم وافر الشكر وأخلص الحب وأصدق الامنيات .. سائلين الله تعالى أن يجعلنا دائما عند حسن ثقتهم وتقديرهم ، وأن يجمل أعيادنا بهذه المعانى الطيبة وأن يمنحنا جميعا من توفيقه ما يجعلنا أهلا لحسن طاعته ، وحلو رضاه .. يوم نلقاه ..

أين الحياء

الصحافة التى تلجأ أحيانا كثيرة أو قليلة الى الصورة أو الكلمة الخليعة المثيرة تعلن عن افلاسها فى ارضاء القراء وجذبهم اليها بالكلمة المفيدة والتوجيه الصادق .. مثلها تماما مثل المفنية التى تلجأ الى الملابس المثيرة والحركة الخليعة لتجذب المستمعين والمشاهدين من المراهقين أو أشباه المراهقين حين تحس أنها فشلت فى كسب اعجابهم بحلاوة الصوت وحسن الاداء أليس كذلك ؟ ..

ولا زلت فى حيرة ودهشة من أمر هذه المجلات المتخصصة فى الاغراء بهذه الصور المثيرة على غلافها أو على صفحاتها الداخلية أو بالكلمة الداعرة . هذه المجلات ما رسالتها فى خدمة أوطانها ؟ ! .

هل يمكن أن يتحدث أصحابها عن هذه الرسالة ؟ !

أو يقول لنا المسئولون عن الرقابة فى البلاد العربية الاسلامية كلها شيئا عن الدور الجدى لهذه المجلات فى النهوض بأوطانها حتى يسمحوا لها بالصدور ، واستهلاك الورق والجهود أو يسمحوا لها بالتوزيع !! وهى مليئة بالسموم التى تفتك بروح الشباب وتهدم ما تبنيه الدول وما تبذله من جهود لاعدادهم رجالا صالحين يخدمون دينهم وبلادهم ...

أرسل لى قارىء من الكويت بقصاصة من مجلة الشبكة العدد ٥٧٣ بتاريخ ٦٧/١/١٦ تحت عنوان « حميديات » فيها :

يقولون : الصبر مفتاح الفرج وأنا أقول ... وكلام فى غاية الاسفاف والفجر لا يمكن أن نذكره هنا .

فأين الحياء ؟ ولمن تكتب هذه المجلة ؟ .

لكأنها تصدر وتوزع فى بلاد لا تراعى دينا ولا مقاييس خلقية ..



للأستاذ محمود كمال محمد
ج ٠ ع ٠ م

جهدت المرأة فى الآونة الأخيرة فى المطالبة بادخال تعديلات جديدة على قوانين الأحوال الشخصية ، فى بعض البلاد العربية ، وعلى الأخص فيما يتعلق « بالطلاق » و « تعدد الزوجات » ، وأعلنت مطالبها فى المجتمعات ، وفى مختلف المجالات ، وجعلت من هذه المطالب مثارا للجدل والمناقشة على صفحات الجرائد ، وفى التليفزيون ، وغيره من وسائل الاعلام ، وما تزال تثير هذا الجدل فى كل مناسبة ، بل وفى غير مناسبة ، بفكرة أن « من سار على الدرب وصل » .

وقد اطلعت على مقال فى احدى الصحف عنوانه « المرأة تعثر فى كتب الفقه على رأى يقول : تعدد الزوجات حرام فى الاسلام » . وقد تضمن هذا المقال ، فيما تضمنه ، العبارات الآتية :

« بدات المراة تنقب فى كتب الشريعة وتستخرج النصوص والآراء التي تناقض القوانين الوضعية . **تبين أن بعض الفقهاء أعلنوا أن تعدد الزوجات حرام** ، وأنه من المحظورات التي لا تباح الا فى حالة الضرورة القصوى ! ! .

« ولكن ما هي حقيقة المشكلة التي تواجهها المرأة ، هل هي مجرد **نصوص جامدة** ، لا تتفق مع التطور الموضوعي الذى حققته المرأة .. ما هي الفكرة الرئيسية التي تشكل **جذور التخلف** الذى تعانيه المرأة ؟ .

« والاسلام أيضا يدين (هكذا) تعدد الزوجات ، أو على الأقل هذا رأى فقهاء كثيرين منهم المعتزلة قديما ، وكثير من الفقهاء المحدثين » .

« ان المرحوم عبد العزيز (باشا)

تعدد الزوجات

فهمي ، رئيس محكمة النقض الأسبق ، وأحد أساطين الفقه ، أعلن صراحة فى بحث قيم ، أن تعدد الزوجات حرام، وأن تعدده محظور فى الاسلام ، ولكن كل قاعدة لها استثناء ، وكما تبيح الضرورات المحظورات ، فان قاعدة التحريم هذه يرد عليها استثناء ، ويقدر هذا الاستثناء الحاكم .. » .

« ان القرآن استعمل كلمة (ما طاب لكم) ولم يستعمل كلمة (حل لكم) والطائب قد يكون حلالا ، وقد يكون حراما » !! .

« ان عبارة مثنى ، وثلاث ، ورباع لم يقصد به التعدد ، والا لكان التعدد يصل الى تسع زوجات أو ١٨ زوجة ، لأن الأعداد معطوفة على بعضها بالواو » .

★★★

وصاحبة هذه الآراء المشتمل عليها هذا المقال لم تحجم عن ابدائها استنادا الى مبدأ حرية الرأى ، الذى ندين له جميعا وننادى به .

ولكن اذا كان احترام الآراء ، فى كل المجالات العلمية، وغيرها مهما يكن لونها ، واجبا علينا ، وعلى غيرنا من الناس فانه يجب أن تكون تلك الآراء صادرة عن علم متين ، وفهم سليم ، وبصيرة نافذة ، أما ان تكون صادرة عن جهل ، أو غرض ، أو عن المام سطحي ، نتيجة الاستماع الى بعض الأقوال العابرة ، التي لا تتحرى الدقة والعمق فى البحث ، أو نتيجة الاطلاع على بعض المراجع والكتب الفقيرة فى مادتها ، والتي لا تغنى ولا تسمن من جوع ، فما من شك فى أن الناس يعذرون اذا هم ضربوا بها عرض الحائط ، بل ونددوا بها تنديدا ، واعتبروها اجتراء على العلم ، أو الشرع ، أو القانون ، بل وربما ظنوا بها الظنون خطأ أو صوابا كانت تلك الظنون !! .

ومؤدى ما اشتمل عليه هذا المقال ، المعزز برأى المرحوم الاستاذ عبد العزيز (باشا) فهمي كما تقول الكاتبة هو ما يأتي :

أ — ان تعدد الزوجات حرام ، كقاعدة أساسية ، وبما أن لكل قاعدة استثناء ، فاباحة التعدد استثناء من هذه القاعدة يقدره الحاكم .

وتفسير هذا القول هو أن الأصل فى التعدد الحرمة ، بحيث لا يكون لانسان الحق فى أن يعدد زوجاته الا باذن من القاضى فان رفض القاضى الاذن له بذلك كان الزواج الذى يعقده — رغم هذا الرفض ، زواجا باطلا ، لا تترتب عليه آثاره الشرعية فيكون الابن الذى يولد نتيجة لهذا الزواج ابنا غير شرعي ، لا ينتسب الى أبيه ، ولا يرثه .. الخ ، وهذا غير صحيح فى الاسلام ، كما سنبينه فيما بعد .

والدليل الذى تستند اليه السيدة فى تقرير هذه القاعدة يتلخص فى :

أولا — ان القرآن استعمل كلمة « ما طاب لكم » ولم يستعمل كلمة « حل لكم » فى آية « وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء

مثنى وثلاث ورباع » والطائب قد يكون حلالا وقد يكون حراما !! .

والواقع يخالف هذا التدليل ، ذلك لأن كلمة « طاب » لغة كما جاء فى المصباح المنير هي « الشيء يطيب طيبا اذا كان لذيذا أو حلالا ، فهو طيب ، وطابت نفسه تطيب انشرحت وانبسطت » . وكما جاء فى مختار الصحاح « الطيب ضد الخبيث ، وطاب يطيب طيبة بكسر الطاء وتَطْيَابا بفتح التاء » .

واذا فهذه الكلمة لا تنطوى على أى معنى من معانى الحرمة أو الحرام والا كان الله آمرا بالنكاح المحرم الخبيث .

ثانيا — تقول « ان عبارات مثنى ، وثلاث ، ورباع ، لم يقصد بها التعدد ، والا لكان التعدد يصل الى تسع زوجات أو ١٨ زوجة ، لأن الأعداد معطوفة على بعضها بالواو » .

ونقول ان مختار الصحاح يذكر « وجاءوا مثنى مثنى أى اثنين اثنين » — وفى المصباح المنير « وثنيت الشيء بالتثقيل جعته اثنين » .

واذا فكلمة مثنى معناها جعل الشيء اثنين ، وهكذا ثلاث ورباع . ويكون المعنى أن الرجل له أن يجعل زوجاته اثنتين ، وله ان يجعلهن ثلاثة ، وله ان يجعلهن أربعا ، كحد أقصى .

ودليل ذلك هو ما ورد أن غيلان أسلم وتحته عشر نسوة ، فقال الرسول ، صلى الله عليه وسلم « امسك اربعا وفارق باقيهن » ، وروى ان نوفل بن معاوية أسلم وتحته خمس نسوة فقال عليه الصلاة والسلام : أمسك أربعا وفارق واحدة » .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أقر كثيرا من الصحابة على زواجهم بأكثر من واحدة ، وطلب الى من يجمع منهم أكثر من أربع زوجات أن يختار منهن أربعا .

ويروى الطبرى عن قتادة فى تفسير الآية الكريمة قوله : كما خفتم الجور فى اليتامى ، وهمكم ذلك ، فكذلك خافوا جمع النساء أى الزوجات ، وكان الرجل فى الجاهلية يتزوج العشر من النساء فما دون ذلك .. فأحل الله جل ثناؤه ، أربعا بقوله .. مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم الا تعدلوا فواحدة .. يقول ان خفت ألا تعدل فى أربع ، فثلاث ، والا فاثنتين ، والا فواحدة .

وما كان الله سبحانه وتعالى ليزيد العدد الذى يبيحه فى التشريع الاسلامي ، على العدد الذى كان أهل الجاهلية يبيحونه لأنفسهم من قبل ، بل لقد قصد التقليل الى الحد الذى يطيقه البشر ، ويتفق مع طبيعتهم ، فى المستوى العادى لهم ، كما يتفق مع صالح الانسانية والجماعات ، فى كل الأمم ، وفى كل الأزمان .

ويقول المرحوم الأستاذ عبد الوهاب خلاف فى كتابه (علم أصول الفقه) انه يفهم من عبارة الآيه الكريمه المذكورة « ثلاثة معان : اباحة زواج ما طاب لكم من النساء ، وتحديد عدد الزوجات بأربع ، وايجاب الاقتصار على واحدة اذا خيف الجور حال تعدد الزوجات .. » والله سبحانه وتعالى نبه الى أن خوف

تعدد الزوجات

الجور يجب أن يحول أيضا بينكم وبين تعدد الزوجات الى غير حد ، وبغير قيد ، فاقتصروا على اثنتين أو ثلاث أو أربع ، وان خفتم أن لا تعدلوا حين التعدد فاقتصروا على واحدة فهذا الاقتصار على اثنتين أو ثلاث أو أربع أو واحدة هو الواجب على من يخاف الجور .. فاباحة الزواج مقصود تبعا لا أصالة ، والمقصود اصالة قصر عدد الزوجات على اربع أو واحدة .

وواضح من هذه العبارة أن القرآن حدد العدد بأربع لا يزيد ، ونقول هنا أن خوف الجور والظلم الذى يمنع من التعدد ، مسألة نسبية ، تختلف من شخص الى آخر ، فقد استشعر فى نفسي الخوف ، ولا يستشعره آخر يأنس من نفسه القدرة على الوفاء بمستلزمات التعدد ، وعلى ذلك فالمانع شخصي متروك تقديره لكل انسان حسب ظروفه النفسية ، والمادية والصحية ، والاجتماعية ، ومع ذلك فان تدخل الحاكم لمجرد محاولة الحيلولة بين الرجل والتعدد ، لا لتحريمه فى ذاته ، لا يمنع منه مانع اذا كانت هناك ظروف تستدعي ذلك ، كما سنبينه فيما يلي من هذا المقال ، فى مناسبة القانون الصادر فى تونس بتحريم التعدد .

والاربع عدد معقول ، عند الظروف المقتضية للتعدد ، اذا ما أخذنا فى اعتبارنا مثلا زيادة عدد النساء غير المتزوجات على الرجال ، ناهيك بالأسباب الحيوية الأخرى التي توجب على الناس هذا التعدد تحت ظروف وملابسات معينة ، وذلك لأنه ليس كل رجل قادرا على الزواج بينما النساء ــ عدا القليل منهن ــ صالحات لذلك، فالرجل لا يكون قادرا على الزواج الا اذا توافرت شروط كثيرة من النواحي الجنسية والصحية والاجتماعية ، ومن أهم هذه الشروط أن يكون قادرا على نفقات المعيشة لزوجة وأسرة ، ولا يتحقق ذلك ، فى كثير من الأحيان ، الا فى سن متأخرة ، أما الفتاة فتصلح للزواج ، وكثيرا ما يتم فى سن مبكرة ، ويترتب على ذلك أن يكون الصالحون للزواج من الذكور اقل من الصالحات من النساء ، فاذا اختص كل رجل بزوجة كان عدد الفتيات الراغبات فى الزواج بغير أزواج كبيرا ، مما يؤدى الى اختلال التوازن ، واضطراب الحياة الاجتماعية . بل قد يؤدى الى تردى الفتيات فى الرذيلة ، وانتشار الفسق والفجور ، وهذا هو ما حدث فى كثير من الأمم الغربية التي تسير على وحدة الزوجة ، اذ بلغت نسبة أولاد السفاح فى فرنسا ما يقرب من نصف مجموع المواليد هناك ، من أجل ذلك كان تحريم تعدد الزوجات بصفة مطلقة ، مؤديا الى عواقب اجتماعية وخيمة .

ومصداقا للقول بوجود زيادة فى عدد النساء على عدد الرجال لسبب أو لآخر ، فان السباح العالمي الأستاذ أبو هيف ، روى أنه نزل أثناء رحلته الأخيرة فى احدى الجزر ، فوجد أن كل رجل هناك تقابله خمس نساء ! ! .

وتكملة للرد على ما ورد فى أقوال السيدة الكاتبة ، نذكرها بحقيقة لا يمكن انكارها ، هي أنه لو كان لشريعة فى الوجود فضل على المرأة فهو لشريعة الاسلام ، التي رفعتها الى أقصى حد يمكن أن ترفع اليه ، اذ ساوتها بالرجل فى كل شيء ، فى العبادات ، والمعاملات ، ومختلف الحقوق والواجبات ، والحريات ، اللهم الا فى القليل الذى توجبه طبيعتها التي فطرت

عليها ، فاذا كانت المرأة المسلمة تعاني تخلفا أو كانت بعض البيوت معرضة أحيانا للانهيار ، فالذنب ليس ذنب الدين ولا الشريعة ، اذ أن الدين سياج لنا ضد مفاسد الحياة وشرورها جملة ، ولكنه ذنب المجتمع نفسه ، الذى اهمل مقوماته ... ويحق لنا أن نسأل عن نصيب المرأة ذاتها فى تلك الحال التي انحدرت اليها من هذه الوجهة بالذات ، ان صح أنها انحدرت فعلا ! ! .

والواقع أن تعاليم الاسلام لا تزال هي الحائل الأكبر بيننا وبين الهاوية التي تردت فيها أمم غيرنا ، كما يتبين لنا من الاطلاع على هذا الخبر الذى نشرته جريدة الاخبار فى عدد ١٩٦٥/٤/٢٤ ونصه كما يأتي :

« خرجت النساء السويديات فى مظاهرة عامة تشمل أنحاء السويد احتجاجا على اطلاق الحريات الجنسية فى السويد ، اشتركت فى المظاهرة حوالى مائة الف امرأة ، وسوف يقدمن عريضة الى الحكومة تعلن العريضة الاحتجاج على تدهور القيم الأخلاقية » .
استوكهلم ى.ب.ا .

فما هي العبرة التي يجب أن نعتبر بها من هذا الخبر ، أليست هي ضرورة الحفاظ على الدين الاسلامي القويم ، بتعاليمه المتفقة مع صوالح البشر ، فى كل زمان ومكان ؟ .

ولنترك السيدة الكاتبة الى حديث آخر فى نفس الموضوع ، ذلك أن صيحات المرأة التي تردد صداها فى جوانب العالم الاسلامي لم تذهب كلها هباء ، فلقد أثمرت بعض الثمر ، وكان ثمرها مر المذاق ، اذ رأينا احدى الدول الاسلامية تصدر تشريعا يمنع التعدد كما يمنع الطلاق الا بطرق واجراءات خاصة :

وقد ذكر الاهرام الاقتصادى فى عدده الصادر فى ١٩٦٣/٩/١٥ ما يأتي : « بعد ان حصلت تونس على استقلالها فكر المسئولون فيها فى اصدار قانون جديد موحد للأحوال الشخصية تسير بمقتضاه أحوال المواطنين هناك ، وذلك للقضاء على حالة التعدد فى المحاكم ، والمذاهب التي كانت تسود الأحوال الشخصية أيام الاحتلال الفرنسي ، وفعلا صدر القانون الجديد عام ١٩٥٦ بعد الاستقلال مباشرة » .

« وباستعراض هذا القانون نستطيع أن نتبين عدة ملامح مميزة :

« — ان القانون موحد ويطبق على كل المواطنين التونسيين المسلمين وغير المسلمين ، سواء بسواء .

« — انفرد القانون التونسي ببعض النقاط الهامة — التي تعتبر استحداثا فى التشريع — فيما يتعلق بالطلاق وتعدد الزوجات ، فقد أوجب القانون ضرورة توقيع الطلاق أمام المحكمة ، ولا يجوز غير ذلك ، كما حرم القانون تعدد الزوجات تحريما قاطعا » .

واورد الاهرام الاجراءات الحتمية لطلب الطلاق ، سواء اكان بناء على طلب الزوج أو الزوجة أو بتراضيهما معاً . ونلاحظ ان المشروع التونسي قد أغضى عن أصول الأحكام الشرعية فى كثير ، فى الوقت الذى ترسم فيه خطى التشريعات الفرنسية ، يتمثل ذلك فى الاجراءات التي أوجبها لطلب الطلاق والحكم به، مما لا يتسع مناقشته فى هذا المقال ، وفى الأخذ بتحريم تعدد الزوجات تحريما باتاً .

مائدة القارئ

عمر يستدين

أرسل عمر بن الخطاب الى عبد الرحمن بن عوف يستسلفه ((٤٠٠)) درهم ، فقال عبد الرحمن : أتستسلفني وعندك بيت المال ؟ ألا تأخذ منه ، ثم ترده ؟ فقال عمر : انى أتخوف أن يصيبنى قدرى - أموت - فتقول أنت واصحابك : اتركوا هذا لامير المؤمنين ، حتى يؤخذ من ميزانى يوم القيامة ، ولكنى أتسلفها منك لما أعلم من شحك ، فاذا مت جئت فاستوفيتها من ميراثى .

هذا الجندى المجهول

حاصر مسلمة حصنا ، فندب الناس الى نقب منه ، فما دخله أحد . فجاء رجل من عرض الجيش ، فدخله ، ففتحه الله عليهم ، فنادى مسلمة أين صاحب النقب ؟ فما أجابه أحد .

فنادى انى أمرت الاذن بادخاله ساعة يأتى ، فعزمت عليه الا جاء . فجاء رجل ، فقال : استاذن لى على الامير ، فقال له : أنت صاحب النقب؟ قال : أنا أخبركم عنه ، فأتى مسلمة ، فأخبره عنه ، فأذن له ، فقال : ان صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا :

ألا تسودوا - تكتبوا - اسمه فى صحيفة الى الخليفة .

ولا تامروا له بشىء .

ولا تسالوا ممن هو .

قال : فذاك له .

قال : أنا هو .

فكان مسلمة لا يصلى بعدها صلاة الا قال : اللهم اجعلنى مع صاحب النقب .

الحج يهدم ما قبله

عن عمرو بن العاص قال :

لما جعل الله الاسلام فى قلبى ، أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

ابسط يدك فلأبايعك

قال : فبسط فقبضت يدى !

فقال : ما لك يا عمرو ؟

قلت : أشترط ..

قال : تشترط ماذا ؟

قلت : أن يغفر لى ..

قال : أما علمت أن الاسلام يهدم ما قبله ، وأن الهجرة تهدم ما قبلها ، وأن الحج يهدم ما قبله !

كثر خير الله وطاب

عن أنس قال : وقف النبى صلى الله عليه وسلم (بعرفات) وقد كادت الشمس أن تئوب ، فقال : يا بلال أنصت لى الناس .

فقام بلال فقال : أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فأنصت الناس : فقال صلى الله عليه وسلم :

معشر الناس : أتانى جبريل عليه السلام آنفا ، فاقرأنى السلام ، وقال : ان الله عز وجل غفر لاهل عرفات ، وأهل المشعر الحرام ، وضمن عنهم التبعات ..

فقام عمر بن الخطاب ، فقال :

يا رسول الله : هذا لنا خاصة ؟

فقال : هذا لكم ولمن أتى من بعدكم الى يوم القيامة

فقال عمر بن الخطاب : كثر خير الله وطاب .

كيف تركتهم

وفد رجل على عمر بن عبد العزيز فقال له : كيف تركت الناس ؟

قال : تركت غنيهم موفورا ، وفقيرهم محبورا ، وظالمهم مقهورا ، ومظلومهم منصورا .

فقال عمر : الحمد لله لو لم تتم واحدة من هذه الخصال الا بعضو من أعضائي لكان يسيرا ...

معاش أبى بكر

بعد أن بويع أبو بكر الصديق بالخلافة ذهب الى السوق كعادته ليتاجر ، ويقوت نفسه وأهله ، فلقيه عمر ، فقال له : الى أين ؟ قال : الى السوق . قال عمر : تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : من أين أطعم عيالى ؟ فقال عمر : انطلق يفرض لك أبو عبيدة من بيت المال ، فانطلق الى أبى عبيدة ، فقال للخليفة انى أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بافضلهم ولا أوكسهم ، وكسوة الشتاء والصيف : فاذا أخلقت شيئا رددته ، وأخذت غيره !!

سنوات ثلاث

قام أعرابى بين يدى (هشام بن عبد الملك) فقال : أتت على الناس سنون ثلاث .

أما الاولى فلحت ــ أزالت ــ اللحم . وأما الثانية فأكلت الشحم . وأما الثالثة فهاضت العظم .

وعندكم فضول أموال ، فان كانت لله فقسموها بين عباده . وان كانت لهم ففيم تحظر عنهم ؟! وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فان الله يجزى المتصدقين .

فأمر هشام بمال فقسم بين الناس ، وأمر للاعرابى بمال ، فقال :

أكل المسلمين له مثل هذا ، قالوا : لا ، ولا يقوم بذلك بيت مال المسلمين !!

قال : اذن فلا حاجة لى به .

يصطادون الدنيا بالدين

يؤمر يوم القيامة بناس يؤتى بهم من النار الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ، ونظروا الى قصورها ، وما أعد الله لاهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها ، فلا نصيب لهم فيها. فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها : فيقولون : ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك، وما أعددت فيها لأوليائك لكان أهون علينا . قال : ذاك أردت بكم . كنتم اذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم ، واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين،تراءون الناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم . هبتم الناس ولم تهابونى ، أجللتم الناس ولم تجلونى ، وتركتم للناس ولم تتركوا لى ، اليوم أذيقكم اليم العذاب مع ما حرمتم من الثواب .

(حديث شريف)

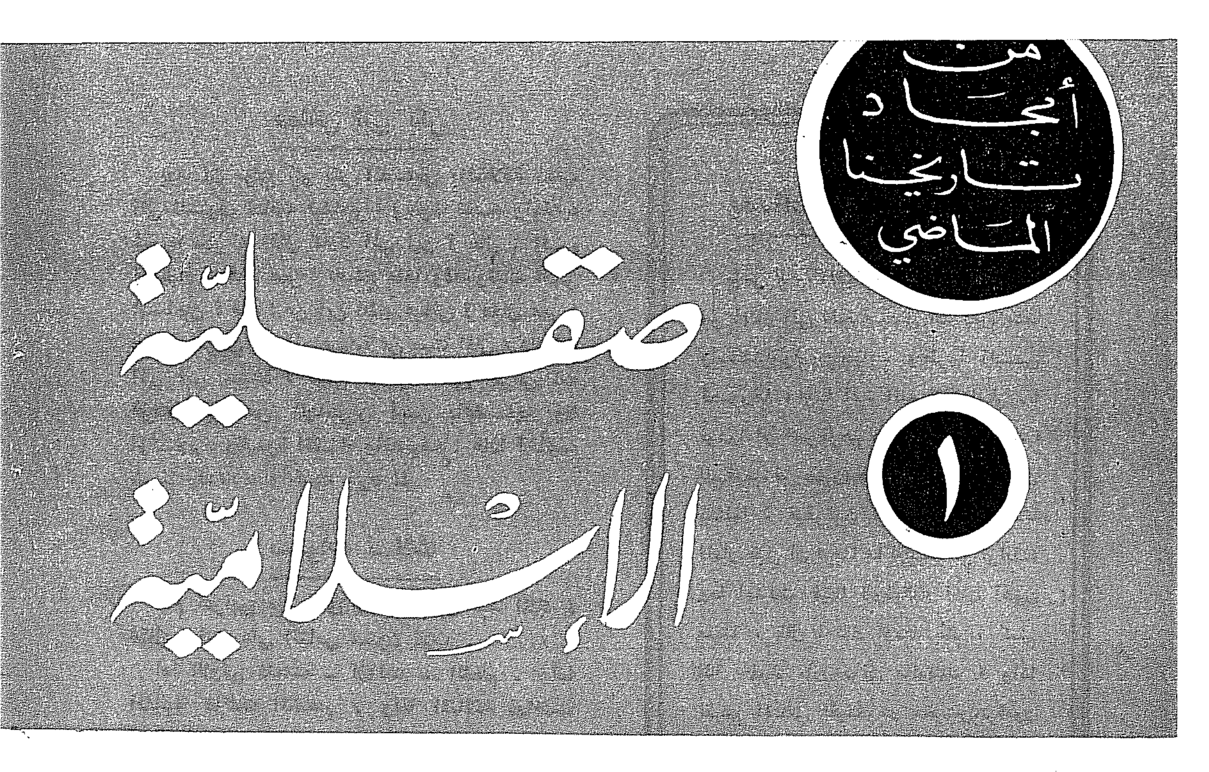
مناظرة ولا تزال ..

جرى بين أبى الاسود الدؤلى وبين امرأته كلام فى ابن كان لها منه ، وأراد أخذه منها ، فسار الى زياد وهو والى البصرة فقالت المرأة : أصلح الله الأمير . هذا ابنى كان بطنى وعاءه ، وحجرى فناءه ، وثديى سقاءه أكلأه اذا نام ، وأحفظه اذا قام ، فلم أزل بذلك سبعة أعوام ، حتى اذا استوفى فصاله ، وكملت خصاله ، واستوكعت (اشتدت) أوصاله ، وأملت نفعه ، ورجوت دفعه ، أراد أن يأخذه منى كرها . فآدنى أيها الأمير فقد رام قهرى ، وأراد قسرى .

فقال أبو الأسود : أصلحك الله ، هذا ابنى حملته قبل أن تحمله ، ووضعته قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه فى أدبه ، وأنظر فى أوده ، وأمنحه علمى ، وألهمه حلمى ، حتى يكمل عقله ، ويستحكم فتله .

فقالت المرأة : صدق . أصلحك الله . حمله خفا ، وحملته ثقلا ، ووضعه شهوة ، ووضعته كرها .

فقال له زياد : أردد على المرأة ولدها . فهى أحق به من حقك. ودعنى من سجعك ».



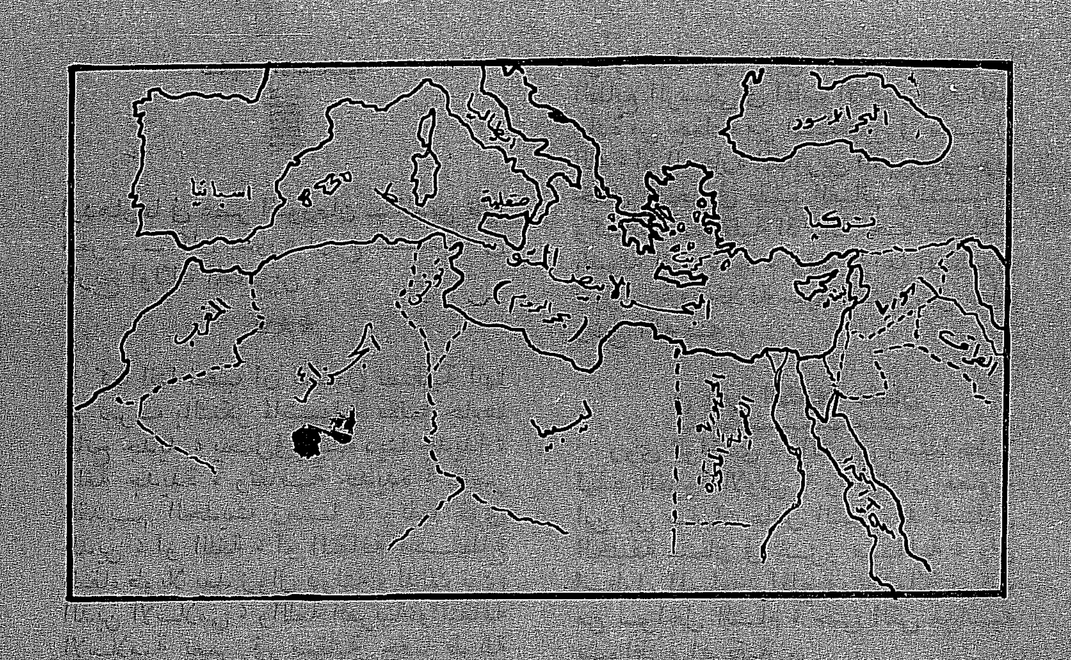
للدكتور زكى محمد غيث
استاذ التاريخ الاسلامي بكلية الشريعة
جامعة بغداد

سنقتصر فى حديثنا عن : ((صقلية الاسلامية)) على الجوانب التى يهم القارىء الكريم معرفتها ، بما يجلى الصفحات المشرقة التي خطها المسلمون على أرض جزيرة صقلية زهاء ثلاثة قرون عاشوها فيها خلال العصور الوسطى ، مراعين ظروف النشر فى مجلة يفرض عليها منهجها أن تتسع صفحاتها لنشر العديد من الموضوعات ، تحقيقا لأهدافها التي أنشئت من أجلها ، واشباعا لرغبات قرائها ذوى الثقافات المتباينة ، والمشارب المختلفة ، والله ولى التوفيق .

صقلية (١) جزيرة كبيرة تأخذ شكل مثلث تقريبا ، تتوسط البحر الأبيض المتوسط ــ الذى كان بدوره يتوسط العالم القديم المعروف اذ ذاك ــ وكان لها بحكم مركزها المتوسط فى هذا البحر مكانة خاصة ، فهى تقسم حوضه الى

---

(١) صقلية بثلاث كسرات ، وتشديد اللام ، والياء أيضا مشددة ، والبعض ينطقها بالسين ، وأكثر أهل صقلية يفتحون الصاد والقاف . وهذا الاسم أولى من (سيسليا) الذى عرفها به الفربيون ، وخصوصا لأن كثيرا من مشاهير العلماء والشعراء يعرفون بالانتساب اليها (يراجع : معجم البلدان لياقوت ج ٥ ص ٣٧٣ ، وصبح الأعشى للقلقشندى ج ٥ ص ٣٧٣ ، ومعجم الخريطة ص ٦٦ ، وقاموس الجغرافيا القديمة لأحمد زكى باشا ، ومجموعة كمبردج ، ج ٤ ف ٥ ص ١٣٦) .



قسمين : شرقى ، وغربى ، كما أنها تعتبر قنطرة تصل بين قارتين هما : أوربة ، وافريقية (١) .

***

وصقلية بجانب كونها جزيرة كبيرة بالنسبة لجزائر هذا البحر ، تمتاز بخصب غير مألوف فى باقى جزائره ، لذلك كانت مطمح أنظار الأمم التي كانت تتنافس على السيادة فيه .

وليس من شأننا هنا أن نتعقب أدوار تاريخها ، وانما يكفى أن نذكر أنه ما من أمة كانت لها فى حوض هذا البحر سيادة الا واتجهت أنظارها نحو صقلية فركبت البحر اليها ، ونازعت سادتها السيادة .

***

وكلما نزل بالجزيرة فاتح جديد طبع البلاد بطابعه الخاص ، من ثقافة ، ولغة ، ودين ، وبذلك كانت الجزيرة مسرحا لوثنية القرطاجيين ، واليونان ، حتى غلبتهم وثنية الرومان الفاتحين ، واذا بقوة جديدة تظهر فى الشرق ، فتصطدم فوق أرض الجزيرة بوثنية الرومان فتقضى عليها ، وتلك هي المسيحية ، وتظل المسيحية ممثلة فى الرومان أولا ، ثم فى البيزنطيين ثانيا . حتى ظهرت قوة الاسلام وتطلع المسلمون الى الجزيرة فملكوها ، وساد الاسلام فى الجزيرة زهاء ثلاثة قرون ، ثم ظهرت فى جنوبى ايطاليا قوة مسيحية جديدة ــ هي قوة النورمان ــ فانتزعت من المسلمين صقلية ، وبذلك عادت الجزيرة الى مسيحيتها .

***

ومما يذكر لصقلية أنها حظيت على الدوام بعناية الفاتحين وتقديرهم ، ويكفى أن نضرب لذلك مثلا أن ازدهارها فى عصر المسلمين كان مثلا واضحا لما وصل اليه المسلمون من مجد ، كما أن



(١) أنظر الخريطة المرافقة للمقال .

ازدهارها فى عصر النورمان — الذين تلوا العرب — كان بدوره أروع صفحة فى تاريخ أولئك المغامرين .

★★★

كما أننا نحب أن نسجل لصقلية أنها لم تعرف بالتنكر لماضيها ، فكلما جاءها فاتح جديد ، يحمل فى يمينه دينا جديدا ، ولغة جديدة ، وثقافة جديدة ، عاصر القديم الحديث زمنا ، وكلما قوى الدين ، أو اللغة ، أو الثقافة استطاع البقاء طويلا بعد زوال دولته ، لذلك نرى الدين الاسلامي ، واللغة العربية، والثقافة الاسلامية تعمر فى صقلية حقبا طويلة بعد زوال دولة المسلمين ، ولولا ما اجتاح أوربة بعد ذلك من تعصب اهلها ضد الاسلام أينما حلوا لبقى الاسلام الى جانب المسيحية فى الجزيرة عصرا طويلا .

★★★

وثمة ظاهرة أخرى فى تاريخ صقلية ، هى أنها ظلت على الدوام مسرحا يتعاقب عليه الشرق والغرب ، فكانت تتأرجح ما بين السيطرة الأوربية والافريقية ، بل بين السيطرة الغربية والشرقية ، فكانت بذلك ساحة الوغى بين الغرب والشرق ، ومصطدم الديانات التي يحملها كل فريق، وملتقى اللغات التي يتكلمها كل فاتح .

المحاولات الاسلامية الأولى لغزو صقلية

كانت صقلية ذات الموقع الممتاز ، والخصب الوافر ، والثراء الواسع ، والمساحة الكبيرة تجذب أنظار الغزاة ، فتقصدها الحملات البحرية الاسلامية من وقت لآخر ، وهى حملات كان ينقصها الطابع الرسمي فى أغلب الأحيان، وتتألف عادة من جماعة من المجاهدين فى سبيل الله ، أو البحارة المغامرين الذين يجوسون خلال البحر فى طلب الغنائم والكسب ، وكانت صقلية اذ ذاك تحت سيادة الدولة البيزنطية ، وقد غزاها المسلمون لأول مرة فى خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه .

فى زمن الخليفة عثمان

روى الواقدى ، والمازرى وصفا مطولا لهذه الغزوة الأولى ، وذكرا أن معاوية ابن أبى سفيان عامل الشام قد أستأذن الخليفة عثمان فى غزو صقلية ، وأن أسطول المسلمين أقلع فى ثلاثمائة مركب من سواحل الشام ، حتى ألقى مراسيه بشواطىء افريقية .

ثم وصفا خروج المسلمين فى مراكبهم واغاراتهم على أطراف الجزيرة ، وضربهم حصونها بالمجانيق ، وانتصارهم على أهلها حتى « أجحروهم فى دورهم وقصورهم » ، ثم رويا نجدة ملك الروم لأهل الجزيرة ، وعلم المسلمين بذلك ، وعودتهم فى سفنهم سالمين محملين بالأسلاب والغنائم الى الشام ، فأرسل معاوية بن أبى سفيان بالخمس من الغنائم الى الخليفة عثمان بالمدينة مع البشرى بسلامة المسلمين ، « فسر عثمان بذلك سرورا عظيما ، وفرح لسلامة المسلمين ، وقسم الخمس فى أهل المدينة » (١) .

كانت هذه الغزوة سنة ٣٣ هـ (٦٥٣ — ٦٥٤ م) ، ذكر ذلك غير واحد من مؤرخى العرب ، كابن عذارى المراكشى فى كتابه : البيان المغرب ، والنويرى فى كتابه : نهاية الأرب ، وابن أبى دينار فى كتابه : المؤنس .. كما أن المؤرخ الايطالى

---

(١) يراجع النص الكامل فى المكتبة الصقلية (فتوح الشام ومصر للواقدى) ج ١ ص ٢٠٠ — ٢٠٥ ، وكتاب ذكرى ميلاد أمارى (كتاب المعلم فى فوائد صحيح مسلم للمازرى) ج ١ ص ٤٠٥ — ٤١٥ مقال الأستاذ جريفيني .

ميخائيل أمارى – وهو عمدة فى **تاريخ** صقلية – يذكر حدوث غزوة على صقلية سنة ٦٥٢ م (١) . كما ذكر فيليب حتى ذلك فى كتابه تاريخ العرب (٢) ، والمؤرخ جريفينى ذكر فى عنوان مقاله الذى أثبت فيه نص رواية المازرى : « أن هذه الغزوة حدثت سنة ٣٣ هـ (أغسطس سنة ٦٥٣م – يوليو سنة ٦٥٤ م) (٣) .

وكانت هذه الغزوة بقيادة عبد الله بن قيس الفزارى أمير البحر فى ذلك الحين ، وفق القول الرائج .

فى عهد بنى أمية

وهذا ولم تزل صقلية تغزى منذ خلافة معاوية بن أبى سفيان حتي انقضاء عهد دولة بنى أمية فى الشرق ، فقد غزاها على عهده عبد الله بن قيس الفزارى بجماعة والى افريقية معاوية بن حديج سنة ٤٦ هـ (٦٦٦ م) ، ذكر ذلك غير واحد من مؤرخى العرب (٤) .

ثم وافاها بعد ذلك لهذا الغرض غير واحد من القواد والأمراء بافريقية ، فى أوقات مختلفة منذ عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان (٦٥ هـ – ٨٦ هـ) ، حتى عهد الخليفة مروان بن محمد (١٢٧ – ١٣٢ هـ) ، وهذا ما انعقد عليه اجماع معظم المؤرخين ، وفى عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية بعث عبد الرحمن بن حبيب الفهرى جيشا الى صقلية سنة ١٣٠ هـ (٧٤٧م) أيام ولايته على افريقية فانتصر ، وسبى وغنم (٥) ، وكانت هذه هى الغزوة **العاشرة منذ أيام عبد الملك بن مروان ،** كما هو ثابت من استقصاء الغزوات فى تلك **الحقبة** .

***

ثم اندلعت فى افريقية نيران الفتن والثورات التي أشعلها الخوارج فى جميع الجهات حتى اضطربت ، وقاتل عبدالرحمن بن حبيب الفهرى الخوارج ، وهزمهم فى كل مكان ، وانقطع أمرهم وهدأت الأحوال نسبيا ، وفى أثناء ذلك دالت دولة بنى أمية بالشرق وآل الأمر الى بنى العباس ، فبعث عبد الرحمن ابن حبيب بطاعته الى أبى العباس السفاح ، ثم من بعده الى أبى جعفر المنصور ، ولم يلبث عبد الرحمن طويلا حتى قتل سنة ١٣٧ هـ (٧٥٤م) (٦) فكانت تلك الاضطرابات والفتن ، وانتقال الأمر من دولة الى أخرى مما شغل ولاة افريقية عن غزو صقلية ، وأعطى أهلها فرصة لتحصينها وعمارتها ، فبنوا المعاقل والحصون ، ولم يتركوا جبلا الا وجعلوا عليه حصنا (٧) .

***

وبعد . فيلاحظ مما تقدم أن السرايا البحرية الاسلامية قد غزت صقلية غير مرة أيام دولة بنى أمية ، ومع ذلك لم تستطع أن تقوم فيها بفتوحات ثابتة ! ! .

البقية على ص : ٨١

---

(١) تاريخ المسلمين بصقلية لامارى ، ف ٤ ، **الكتاب الاول** .

(٢) تاريخ العرب ، ف ٤٢

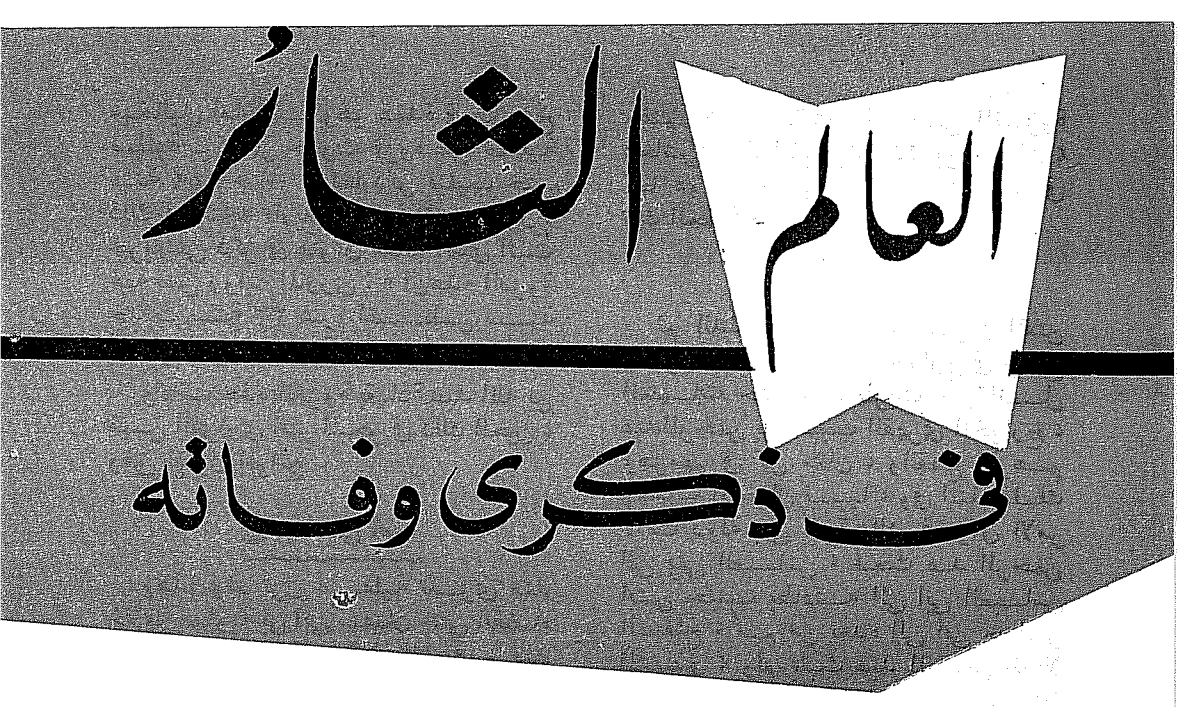
(٣) كتاب ذكرى ميلاد أمارى ، ج ١ ص ٤٠٥ .

(٤) المكتبة الصقلية (فتوح البلدان للبلاذرى) ٢٣٧ ، (ديوان صلة السمط وسمت المرط لابن شباط) ج ١ ص ٢٠٩ – ٢١١ ، والبيان المغرب ، لابن عذارى ج ١ ص ٩ ، والاستقصاء لاخبار دول المغرب الأقصى ، للسلاوى ، ج ١ ص ٣٦ .

(٥) الكامل فى التاريخ لابن الاثيرج ٤ ص ٣٤٥ ، والبيان المغرب ، لابن عذارى ج ١ ص ٥٣ ، والعبر لابن خلدون ج ٤ ص ١٩٠ ، والمكتبة الصقلية (نهاية الادب للنويرى) ج ١ ص ٤٢٦ .

(٦) البيان المغرب ، ج ١ ص ٥٥ ، ٥٦ ، والعبر .. ج ٤ ص ١٩٠ .

(٧) المكتبة الصقلية (نهاية الأرب للنويرى) ج ١ ص ٤٢٦ .



لقى ربه فى صباح السبت ٢ من شعبان ١٣٧٧ هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٩٥٨ م ، وتجمع الملايين حول نعشه تودعه الى مقره الاخير ، واهتزت قلوب مئات الملايين ، وفاضت عيونهم بالدموع جزعا لوفاته ، وحزنا على فراقه ، وفراغ الميدان السياسى من جهوده وتوجيهه ، وارتجفت عشرات الملايين من المسلمين خوفا من المستقبل بعد أن انهار الركن الذى كانوا يستندون عليه . وقف رئيس الجمهورية فى حفل تأبينه الذى اجتمعت فيه كل أحزاب الهند على اختلاف مشاربها يقول وعيناه تفيضان بالدموع :

ان تاريخ الهند خلال خمسين سنة مضت يقترن باسم الفقيد على وجه لا يمكن فصله عنه ، ان القلم الذى ألهب الوطنية فى الملايين من أهل هذه البلاد قد وقف اليوم ، وان الصوت الذى أثار ملايين الهنود وأيقظ فى نفوسهم الحمية والحماس الوطنى قد خفت اليوم ، ان الملايين التى احتشدت من قبل حول نعشه تودعه ، والجماهير المحتشدة اليوم كشفت عن اعمق التقدير للزعيم الجبار الذى فارقنا يوم السبت الماضى والذى اقترنت حياته بحركة استقلال الهند وتعميرها اقترانا لا يمكن أن ينفصل ..

لقد أثار الشعب بكتاباته البليغة البديعة ، وبث فيه روح الكفاح والجهاد لتحرير وطنه وأرشدنا بأعماله الباهرة وتضحياته العظيمة الى تذليل العقبات وازاحة العوائق والعراقيل التى تقف فى سبيل الامة وتحريرها . كان عبقريا يكتنه الغوامض وهو بعد لم يبلغ رشده »

وقف الزعيم الهندى « نهرو » وقد غلبه التأثر والحزن واغرورقت عيناه بالدموع ليودع الراحل الكريم فقال : توفى الى رحمة الله ... وكلنا سنذوق الموت ، وقد يستطيع الزمن التخفيف من هول المصاب ، ولكن أنى لنا بمن يسد الفراغ الذى تركه الراحل الكريم ، اننى سأبقى طول حياتى أتذكر هذا المصاب

كان طرازاً وحده في عظمته، وسوف لا توجد مثل هذه الشخصية لا في الهند ولا في خارجها . (نهرو)

بقلم عبد المنعم النمر

الجال كلما واجهتنى الخطوب والمعضلات وأتساءل فى حزن وألم : أين ذلك الصديق العظيم الذى كنت ألجأ اليه دائما ألتمس منه النصيحة والمشورة

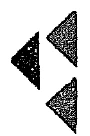
وفى عدد خاص عن الراحل الكريم أصدرته جريدة الجمعية لسان حال جمعية علماء الهند كتب الزعيم نهرو يقول فى تحليل عميق :

« الحديث عن شخصية أعرفها عن قرب أمر صعب ، وهذه الصعوبة تبلغ ذروتها حين يكون صاحب هذه الشخصية رفيقا سياسيا اشتركنا معا فى تحمل المسئولية الضخمة والمتاعب الجمة فى سبيل خدمة الوطن ولذلك أحس صعوبة بالغة فى التحدث عنه .

منذ ثلاثين سنة قابلته وجها لوجه لأول مرة ، وكنت قبل ذلك أسمع عنه وعن اهتمامه بالقضايا القومية بكل مافيه من عزم وثبات ، وكنت أتابع مقالاته أيام الحرب العالمية الاولى قبل ذلك اللقاء ، وكنت لذلك تواقا الى مقابلته . كان حينذاك شابا ولكن علامات النضج كأنها منقوشة على جبينه ... ولم أكن حينذاك من أعضاء حزب المؤتمر حتى يتاح لى لقاؤه والتعرف عليه ، فكنت أسعى جاهدا للتعرف به من بعيد ، ثم حين أصبحت عضوا بالحزب وجدت المجال الواسع للتعرف على شخصيته الفذة .

فى كثير من قرارات الحزب وشئونه ورسم سياسته كان خير رفيق وأعز زميل لى باستمرار ، وقليل من الناس من يعرف أنه كانت له اليد الطولى فى كل ما أصدره الحزب من قرارات وآراء رشيدة ، وكانت آراؤه الحرة النيرة دائما ناضجة ذلك لأنه كان وراءها علم غزير وعقل ناضج وتدبير حكيم وفراسة نادرة .

لقد كان له أثره البعيد المدى فى تكوين الشعب تكوينا فكريا نظيفا وتكوينا علميا منظما ولا شك أن التاريخ سيشهد كيف قام بدور عظيم فى خدمة القضايا الوطنية



لبلاده ، ولكننا نحن الذين عرفناه عن قرب قلما ننتظر حكم التاريخ ، فاننا فى غنى عن التاريخ فقد كان لبلادنا وأمتنا قوة راسخة كالجبال . ومع أننا كنا نختلف معه أحيانا — وهذا أمر طبيعى — الا أننا نشهد بأن آراءه دائما كانت وجيهة رشيدة ما فى ذلك من شك ، ولم يكن من السهل التخلى عنها لأنها كانت صادرة عن رجل أخذ بناصية الماضى والحاضر ، ولأنه كانت له تجارب واعية وعقل يقظ ، كما كان يملك فهما سليما للأمور ودراية بها .. لقد وجد العظماء فى كل مكان وزمان ، **ولكنه كان طرازا وحده فى عظمته ، وسوف لا توجد مثل هذه الشخصية لا فى الهند ولا فى خارجها .**

لقد أدى خدمة كبرى للاسلام والمسلمين حين نادى فى الشعب . ان البلاد الاسلامية لا يمكن أن تحرر من الاستعمار الا اذا حصلت الهند على استقلالها ، لقد كان مجموعة محبوبة من عظمة الماضى وعظمة الحاضر ، وكان يتسم بكل الصفات الأخلاقية الحميدة التي يندر وجودها فى هذا الزمان . ان الانسان يحاول الآن الصعود الى القمر ولكنه مع ذلك يفقد هذه الصفات الانسانية التي كنا نراه نموذجا حيا لها ، وكان فوق ذلك ملتقى ثقافات الغرب والشرق قل نظيره فى هذه الايام . »

وفى كتاب « من السجن الى الرياسة » تحدث نهرو عن الراحل الكريم فقال :

« كان شابا ألمعيا فى الرابعة والعشرين من عمره تلقى علومه الأولى فى جامعة الأزهر بالقاهرة (١) واشتهر — وهو بعد فى العقد الثانى من عمره — بمعرفته العميقة باللغتين العربية والفارسية الى جانب المامه بالعالم الاسلامي خارج الهند ، وبالحركات الاصلاحية التي كانت آخذة مجراها فيه وبالتطورات الاوربية . »

ومن قبل تحدث عنه الزعيم غاندى فقال :

انه لا يبارى فى العلوم الاسلامية كما كان متبحرا فى اللغة العربية ووطنيته متينة صادقة كايمانه بالاسلام .

واختلف معه غاندى مرة فى رأى من الآراء السياسية ، وطلب منه أن يستقيل من الحزب صباح يوم من الأيام ، ولكنه لم ينقض اليوم حتى جاء غاندى الى اجتماع لأعضاء الحزب ووقف بينهم معتذرا له عما صدر عنه ، وافتتح اعتذاره بهذه الكلمة « **هاكم المذنب يعود تائبا الى مولانا** » .

ودعته « جمعية حماية الاسلام » فى لاهور لالقاء محاضرة عن « الأساس العقلى للاسلام » بعد ما ذاع صيته من كتاباته ، وهو بعد لم يبلغ العشرين فذهب اليها .. وحين رآه أعضاء الجمعية والحاضرون ظنوا أنه نائب عن ذلك الرجل المشهور الذى دعوه ، ليقرأ عليهم المحاضرة .. ثم كانت دهشتهم بالغة حين عرفوا أنه ليس نائبا ، ولكنه الشخص الذى سمعوا عنه ، وقرأوا له وأعجبوا به ، ودعوه لالقاء المحاضرة ، ثم

---

(١) هكذا يقول نهرو وهو خطأ تاريخي مشهور فى الهند، وتكرر هذا كثيرا عند وفاته لكن نهرو وقف فى حفل تأبينه فى البرلمان فى ٢٥ فبراير ١٩٥٨ وصحح هو نفسه هذا الخطأ الذى وقع فيه هو وغيره ، وقال « كنا نعتقد ذلك ولكن الواقع انه ذهب الى مصر زائرا وزار الجامع الأزهر . ولكنه لم يقم فيه للتعليم » وقد لفت نظرى عناية نهرو تصحيح هذا الخطأ أمام البرلمان . ومن قبل نبه الراحل الكريم الى هذا الخطأ الشائع فى حياته وأرجع شيوعه الى أنه عقب عودته من مصر تكلم فى مؤتمر صحفى عن الأزهر وبرامجه حين زاره ١٩٥٨ وهو شاب فاعتقد الكثيرون أنه تعلم فى الأزهر ومنهم بعض مؤرخى الهند وزعمائها .

كانت دهشتهم أبلغ ، واعجابهم أشد حين استمعوا اليه ...

دعا الى مقاطعة الحكومة وعدم التعاون معها ، ونظم حركة مقاطعة كلكتا لزيارة ولي عهد انجلترا للهند سنة ١٩٢١ ، فقبضت عليه الحكومة وقدمته الى المحاكمة بتهمة تشهيره بالحكومة ، وفي ساحة المحكمة وقف وألقى مرافعة طويلة عن وجهة نظر الاسلام في الحكومات المستبدة ، وسرد مواقف علماء المسلمين تجاه هذه الحكومات ، واعلان رأيهم فيها وأعلن رأيه في صراحة واضحة وجريئة تعد مثلا دائما لكل صاحب رأي وفكرة ، وتعتبر امتدادا لمواقف العلماء الأعلام تجاه الحكام الذين كانوا يرونهم ظالمين.. مرافعة كل كلمة فيها يحسن بنا أن نحفظها وندرسها لأولادنا ليعرفوا منها رأي الاسلام في الحكم ، ويعرفوا منها دروسا ومواقف رائعة تركها لنا السابقون من رجال الاسلام الأحرار ... أنقل لك ومضات منها هنا تنير وتلمع .. قال يخاطب المحكمة .

ان كانت هذه التصريحات جناية ، فاني معترف بأن قلبي قد اشتغل بها ، ولساني نطق بها ، واني أنا الذي صرحت بها أمام عشرات الألوف من الناس .. ليس في هاتين الخطبتين فقط بل في خطب أكثر من أن تعد أو تحصى ، بل ما برحت أقول أكبر وأشد منها ، ذلك لأنني أعتقد أن التصريح بها واجب علي ، ولا أزال قائلا بها ما دام لساني بين أسناني ، وروحي في جثماني ، وان لم أفعل أكن ظالما لنفسي وعاصيا عند الله والناس أجمعين .. نعم اني قلت أن هذه الحكومة ظالمة ، وان لم أقل هذا فماذا أقول يا ترى ؟ وأيم الله اني لأعجب كيف يطلب مني أن أسمي الأشياء بغير أسمائها وأن أدعو الاسود بالابيض !! .

ان الظالم لا يستحق أن يبدل اسمه ، ويسمى بغير اسمه ، لأنه يملك القوة والسجون والمشانق . كلا بل أقول كما قال زعيم ايطاليا وبطل حريتها « مازيني » قرة عيني في هذه الجناية .

ويتحدث عن الحرية فيتحدث عنها حديث الحر المسلم فيقول :

اني أعتقد أن الحرية حق طبيعي لكل انسان وكل أمة . فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وليس لشخص ما أو حكومة أن تستعبد عباد الله وتتخذهم خدما . وسم الاستعباد والرق بأي اسم شئت ، غير أنه على كل حال استعباد ورق . ومشيئة الله وناموسه يمقتانه . وأنني لأجل هذا لا أعترف بالحكومة الهندية ، بل أعدها حكومة غير شرعية ، لأنها مستبدة طاغية .. أرى واجباتي الدينية والوطنية والانسانية تطالبني بأن أحرر بني جلدتي من رقها وعبوديتها الشائنة .

ثم يحلل الاستعمار وما يدعيه من اصلاحات تحليلا منطقيا رائعا فيقول :

الحكومة الحاضرة حسنة أو قبيحة .. سؤال ثانوي ..

أما السؤال الأساسي فهو : هل وجودها حق وشرعي ؟ .

اني لأعتقد أن وجودها باعتبار أصل خلقتها غير شرعية لأن نفس وجودها ظلم وشر . ويكفي لقبحها وشناعتها أنها موجودة . نعم ونعترف بحسناتها ـ ان كان لها حسنات ـ ولكن يظل وجودها على كل حال ظلما وغير شرعي ومثاله : لو تسلط أحد على بيتنا وأداره ادارة حسنة وعمل أعمالا صالحة ، فانه بهذه الحسنات لا يصير تسلطه عليه حقا شرعيا ..

ان الشر يصح أن ينعت ويقسم بالكم والكيف فنقول : كم هو وكيف هو ؟ ولكن لا يصح نعته وتقسيمه بالحسن والقبح .. فلا نقول . أحسن هو أم قبيح ؟ نعم يقال سرقة قبيحة وسرقة أقبح . ولكن لا يقال . سرقة حسنة ، وسرقة قبيحة . وهكذا الاستبداد ..

ثم يجابه المحكمة برأى الاسلام فى الاستبداد . فيقول :

انى مسلم ، ولأنى مسلم وجب علي أن أندد بالاستبداد وقبحه وأشهر بمساوئه، وليعلم أن الاسلام لا يقبل الحكومة المستبدة لأنه نظام كامل للشورى وحكم الشعب ، وانه جاء ليرد للنوع الانساني حريته المغصوبة التي اغتصبها الملوك المستبدون والحكومات الأجنبية ، والرؤساء الروحانيون ذوو الأهواء والرجال الأقوياء من الجماعة ، وقد كانوا يعتقدون أن الحق للقوة والتسلط والقهر والغلبة ، ولكن الاسلام بمجرد ظهوره أعلن أن الحق ليس فى القوة ، ولا هو القوة ، بل الحق هو الحق وأن ليس لأحد من البشر أن يستعبد عباد الله ويذلهم ويسخرهم .

ان الاسلام أعلن حقوق الانسان قبل انقلاب فرنسا بأحد عشر قرنا ، ولم يكن مجرد اعلان بل وضع نظاما عمليا للشورى بالغا فى الكمال منتهاه ..

ثم يقول :

ولعمرى ان المطالبة من مسلم بأن يسكت عن الحق ، ولا يسمى الظلم ظلما مثل مطالبته بأن يتنازل عن حياته الاسلامية .

وفى أواخر مرافعته يقول :

« ان كانت محتويات هاتين الخطبتين لا تلائم الحكومة ، وترانى أستحق العقاب لأجلها فلم لا تعاقبنى على جميع خطبى وهى كلها مثلهما ، بل أشد وطأة على الاستبداد منهما . بل انى مضطر الى التصريح أمامكم بأنى ارتكبت مثل هذه الجناية مرارا يستحيل عدها ، بل ما عملت فى السنتين الماضيتين غير هذه الجناية » .

بهذه الروح الثائرة المؤمنة كان يجابه المحكمة والحكومة الانجليزية ، وفى وقت خرجت فيه انجلترا من الحرب العالمية الأولى منتصرة ، تزهو بقوتها ، وتفرض ارادتها ، وتتيه بما أحرزته من نصر على ألمانيا وحلفائها ..

ذلك هو مولانا أبو الكلام أزاد

ولد فى مكة سنة ١٨٨٨ م من أب هندى مهاجر ومن أم مدنية ، وان كان لم يلبث أن رحل به والده الى كلكتا بعد عامين من مولده ، واستقر بها ، ودرج الطفل ونشأ فى أحضان والديه ، يعرف العربية منهما ، ثم حين شب حرص والده التقى المؤمن أن يربيه تربية دينية شأنه شأن المحافظين من المسلمين الذين كانوا ينأون بأبنائهم عن التعلم فى المدارس التي أنشأتها قوى الاستعمار حتى يظلوا على ولائهم لدينهم ووطنهم ..

ولم يلبث الفتى أن أظهر نبوغا مبكرا .. فالتهم العلوم الدينية والعربية ، ثم اتجه الى الثقافة الغربية ينهل منها فجمع سريعا بين الثقافتين ، وقام فى نفسه عراك بين ما ورثه من علوم قديمة وما عرفه من ثقافة حديثة ، وانتهى به المطاف الى أن يتخذ لنفسه منهجا حرا فى التفكير وسمى نفسه لهذا « أزاد » أى الحر شعارا على حرية فكره ...

ولم تزده هذه الحرية الا التصاقا بدينه ، وتفانيا فى العمل له ...

وبرز فى شبابه داعيا الى أن يستعيد المسلمون فى الهند أمجاد سلفهم ، ويحرروا أنفسهم من قيود التقليد ، وينزلوا الى ميدان الجهاد من أجل تحرير بلادهم من المستعمرين ...

وطاف بالبلاد العربية ، وهو فى نهاية العقد الثانى ، ووقف على التيارات الفكرية والوطنية فيها ، واتصل برجالاتها وعقد صلات وصداقات فكرية وشخصية معهم ، ثم عاد لوطنه ليبدأ شوطا طويلا وشاقا فى سبيل غايته ، فأنشأ جريدة « الهلال » سنة ١٩١٢ لتكون لسانه فى الدعوة التي نذر نفسه لها .. فكانت ذات منهج جديد وأسلوب فريد ، وروح ثائرة ، أقضت جنوب المستعمرين فأغلقوها ، ولكنه لم يستسلم فأصدر أختها « البلاغ » ولكن الانجليز تعقبوه وتعقبوها فصادروها وصادروا مطابعها واعتقلوه وأودعوه السجن ليقضى فيه مدة الحرب ولا يفرج عنه الا فى نهايتها .

وخرج ليستأنف نشاطه ودعوته .. ويعود الى المعتقل حينا بعد حين ...

وتتقرب اليه الهيآت الوطنية فى الهند ، وتعمل على أن تستفيد من جهوده وشخصيته ، فلا يتأبى عليها ويشاركها جميعا فى جهودها ، حتى تبلور عمله وجهده فى حزب المؤتمر الوطنى ، فيختاره رئيسا له وهو بعد فى سن صغير ، لكن أهله للرياسة نشاطه وجهاده ..

فيصبح هو رأسه المفكر المدبر مع غاندى .. ويختلف أحيانا مع غاندى فى خطة الحزب ومنهجه تجاه الأحداث التى تمر بالهند ، ثم يخرج أخيرا ظافرا بتأييد وجهة نظره .. حتى اذا وضعت الحرب الثانية أوزارها ، واتجه الانجليز لمنح الهند استقلالها أفرجت عنه وعن بعض الزعماء المعتقلين ليتولى المفاوضات باسم الهند ...

وتظل المفاوضات بين الاخفاق والأمل فى النجاح ، ومولانا أزاد هو رأس المفاوضين الهنديين .. حتى تنتهى المفاوضات بالنجاح . وشيء آخر هو تقسيم الهند الذى كان مولانا أزاد يعارضه بكل قواه .. لكنه لم يكن منه مفر فكان التقسيم . وكانت دولتا . الهند وباكستان .. وبقى مولانا أزاد يقود مع غاندى ونهرو الجهود السلمية لتعمير الهند والنهوض بها بعد الاستقلال ، فيتولى رئاسة البرلمان ثم وزارة المعارف المركزية لعموم الهند حتى يوافيه أجله فى صباح السبت ٢٢ فبراير ١٩٥٨ م
ولعلك تدهش اذا علمت أن هذه العظمة السياسية التي بلغ ذروتها ، انما جاءت له عارضة عن طريق ايمانه بدينه وجهاده فى سبيله ، وعمله الدائب لتقرير مفاهيمه الصحيحة فى النفوس ، فقد نشأ نشأة دينية ، وكان لذلك عالما بل اماما من أئمة تجديد الفكر الدينى أو ان شئنا الدقة ، فنقول من أئمة تحرير الفكر الدينى من آثار التقليد والجمود مثله فى الهند مثل جمال الدين الافغانى ومحمد عبده فى البلاد العربية ، حتى اذا تابعت ما يكتبه كل من هؤلاء ويدعون اليه وجدت التشابه القوى بين دعوتهم حتى لكأنهم جميعا يسيرون على خط مرسوم .

لقد كانت له حملات صادقة وعنيفة بقوة المنطق على التقليد ، وذلك عن طريق كتاباته فى مجلتين « الهلال والبلاغ » وعن طريق خطبه وأحاديثه ، وكانت دعواته الى الحرية والجهاد فى سبيلها عن طريق اثارة الروح الدينية فى النفوس حتى نجده يقول فى مرافعته أمام المحكمة بعد أن سرد مواقف المسلمين السابقين ضد الاستبداد . « ان المسلمين أنفسهم مسئولون عن تسلط الأجانب عليهم لأنهم فقدوا خصائص الحياة الاسلامية .. وان قلبى ليذوب حزنا وكمدا على وجود أناس من المسلمين فى هذه البلاد يتخذون أربابا من دون الله ، ويعبدون الظلمة جهرا وعلنا .. ولكن سوء حال المسلمين لا يسود ناصية تعاليم الاسلام التي لا تبيح لهم بحال من الأحوال أن يعيشوا عبيدا للأجانب والمستبدين بل توجب عليهم أن يحيوا أحرارا أو يموتوا كراما ،

وليس بينهما سبيل ، وهذا الذى حملنى قبل اليوم باثنتى عشرة سنة على أن أذكر المسلمين فى « الهلال » بأن الجهاد فى سبيل الحرية وبيع الرءوس فى سبيل اعلاء كلمة الحق هو ارثهم الاسلامي القديم الذى ورثوه عن أسلافهم العظام ، وأن دينهم يحثهم بأن عليهم أن يسبقوا جميع أبناء وطنهم فى الجهاد الوطنى .. الخ » .

وفى مكان آخر من مرافعته يقول :

وانى اصرح هنا بأن (الهلال) لم تكن الا دعوة للحرية أو الموت ، وأن ما يعمله المهاتما غاندى الآن من بث الروح الدينية فى النفوس كانت ((الهلال)) قد فرغت منه سنة ١٩١٤ وأن من المصادفات العجيبة أن المسلمين والهندوس ما قاموا بالحركة الجديدة القوية الا بعد أن حلت فيهم الروحانية الدينية محل المدنية الغربية المادية .

ولقد اتخذ مولانا أزاد من تفسيره للقرآن بعقليته الجديدة المتفتحة طريقا لايقاظ العقول الجامدة والقلوب الخامدة .. فبدأ يكتب تفسيرا للقرآن الكريم أتم منه سبعة عشر جزءا سماه « ترجمان القرآن » ونشره فى ثلاثة مجلدات ثم شغلته أحداث السياسة والجهاد عن اتمامه . وكتب له مقدمة جاء فيها :

مضى لي سبع وعشرون عاما بالتمام والقرآن الكريم كان موضوع مطالعتي ليلا ونهارا . كان يذهب بى الفحص والتفكير وراء سور القرآن وآياتها وكلماتها الى أبعد حدوده وأوسع نواحيه فدقق فكرى سورة سورة ، وحقق نظرى آية آية ، ونقبت دراستي لفظا لفظا ، حتى ليصح لي أن أقول انني قرأت من كل ما يوجد من كتب التفاسير خطية كانت أو غير خطية أكثرها ، فلم تفت فكرى ناحية من نواحى علوم القرآن فى مباحثها ومقالاتها ، واذا كانوا قد قالوا ان من العلم قديما وحديثا فاننى لم أر هذا التقسيم فى نفسي ، فالذى يقال عنه قديم قد ورثته ، أما الجديد ففلقته بعصاى وجعلت لنفسي اليه سبيلا فصار عندى كالقديم علما وخبرة ..

وقد خصص المجلد الأول كله لتفسير سورة الفاتحة أم الكتاب ، ثم كان المجلدان الآخران لما أتم من تفسير ..

ولقد كانت له وقفات فاحصة ومنقبة جديرة بكل تقدير عند بعض القصص القرآنية كقصة أهل الكهف وقصة ذى القرنين وسده الذى أقامه ويأجوج ومأجوج ، وفى هذه القصة الأخيرة يتجلى علم مولانا أزاد وسعة اطلاعه ودقة منطقه ، وهو يحاول الكشف عن شخصية ذى القرنين ، حتى وصل فى النهاية الى رأى فيه دعمه بالتاريخ وبالآثار مقابلا بين ذلك وبين ما جاءت به آيات القرآن فى وصفه . ووصف يأجوج ومأجوج ..

ولعل الله ينيح لي قريبا نشر ما كتبه عن هذه القصة مع ترجمة وافية لهذه الشخصية التي جمعت بين الجهاد الدينى والجهاد السياسى ، وبلغت فى ميدانهما المدى الذى لا يستطيع بلوغه الا العباقرة الموهوبون .. وفاء منا لهذا الرجل الذى شغل كل هذا التاريخ وانطوت حياته دون أن يعرف عنه قراء العربية واخوانه المسلمون ما عرفوه عن تلامذة وزملاء له فى حركة تحرير الهند ..

رحمه الله وطيب ثراه وجزاه عن دينه وأمته خير ما يجزى به العاملين .



والفاعلية ، والدين الكامل كما يقول الأستاذ عبد الهادى أبو ريده — لا بد أن يعبر عن هذا كله . عن المطلق (الله تعالى) فى اطلاقه ، وعن المحدود (الانسان) فى محدوديته وعن العلاقة بينهما ، وهذا التعبير يصلح أحد المقاييس لمعرفة صحة دين ما على وجه الاجمال ، ولمعرفة ما اذا كان هذا الدين يصلح دينا للانسان .

أما المطلق — فبطبيعته — أفعاله كلها اختيار محض ، وقدرته شاملة عامة ، فهو لا يتقيد بقيد ولا يمكن أن يطبق عليه اعتبار من الاعتبارات النسبية التي هى بالاختصار وجهة نظر الانسان المحدود ، أما الانسان فهو مشدود بين أمرين ، بين شعوره بقدرته واستقلاله — وهو بهذا الاعتبار — فاعل حر مختار ، وهو من جهة أخرى مخلوق وجزء من الكون هو فيه فاعل ومنفعل ، وهو بهذا الاعتبار ليس حرا باطلاق . ولذلك لو قال أحد : ان الانسان حر حرية تامة ، لكان مصيبا من جهة ، أعنى من جهة شعور الانسان بارادته وقدرته عندما يتصور نفسه ارادة مستقلة بصرف النظر عن أنواع المقاومة الداخلية والخارجية التي يواجهها عند تنفيذ العمل ، وكذلك لو قال أحد ان الانسان مجبر ، لكان أيضا مصيبا من ناحية ، أعنى من جهة أنه مخلوق وان أفعاله تتأثر بمؤثرات كثيرة عند تنفيذها ، ولذلك عبر الفلاسفة عن موقف الانسان الوسط هذا بأنه ((حر فى عالم من القيود)) وبأنه مواطن فى عالمين)) وبأنه ((مجبور مختار)) وبأنه ((منزلة بين المنزلتين)) . هو حر من حيث أن أفعاله ليست شبيهة بفعل الطبيعة التي هى جبر محض ، وهو مجبور ، من حيث أن أفعاله ليست اختيارا محضا ، كأفعال الله ، بل هو قادر من جهة ومخلوق من جهة أخرى وكونه قادرا يجعله مناطا للتكاليف الشرعية التي هى فى مجموعها طلب يستدعى وجود القدرة والحرية والاختيار ، وكونه مخلوقا ، يمنعه من الاستقلال التام بالفعل ، لأنه يستمد من الله وجوده (أولا) وقدرته على الفعل (ثانيا) وبهذا الاعتبار أيضا صح اسناد الفعل الى الله والانسان معا ومن غير تناقض ، فالفعل — كما يقول الامام ابن تيمية وتوما الأكويني — يقع بقدرة الله خلقا وتكوينا ، كما وقعت سائر المخلوقات بقدرته وتكوينه ، وبقدرة العبد سببا ومباشرة .

وخلاصة القول

فان الجبر لا يكون — كما يقول ابن رشد — محضا ، وان الاختيار ، لا يجوز أن يكون مطلقا ، بل الحق التوسط بين هذين الرأيين ، وذلك بان نقرر بأن أفعال الانسان ليست اختيارية تماما ولا اضطرارية تماما ، وانما تتوقف على عاملين . ارادة حرة ترتبط فى الوقت نفسه بأسباب خارجية تجرى دائما على نمط واحد ، والارادة هذه فى ذاتها عبارة عن شوق يحدث عن تخيل ما أو تصديق شيء ، وهذا التصديق ليس هو لاختيارنا ، بل هو شيء يعرض لنا عن الأمور التي من خارج ، مثال ذلك ، أنه اذا ورد علينا أمر مشتهى من خارج اشتهيناه بالضرورة من غير اختيار فتحركنا اليه ، ولما كانت الأسباب التي من خارج تجرى على نظام محدود وترتيب منضود لا تخل ، وبحسب ما قدرها بارئها عليه ، كانت ارادتنا وأفعالنا لا تتم ولا توجد بالجملة الا بموافقة الأسباب التي من خارج ، فوجب أن تجرى أعمالنا على نظام محدود ، ولا نلفى هذا الارتباط بين أفعالنا والأسباب التي من خارج فقط ، بل بينها وبين الأسباب التي خلقها الله تعالى فى داخل أبداننا ، والنظام المحدود الذى نجده فى الأسباب الداخلية والخارجية ، والتي لا تضطرب ولا تختل ، هو القضاء والقدر الذي كتبه الله تعالى على عباده ، وهذا ما يقرره العلم الحديث أيضا ، الذى لا ينفى حرية الاختيار ، والذى يعترف فى الوقت نفسه بوجود القوانين المطردة الطبيعية .

أما مسألة الشر ووجوده ، وهل هو من ارادة الله ، أم من فعل البشر واكتسابهم ، فمشكلة وقع الارتباك فيها لعدم تفريق المتكلمة — كما يقول الامام ابن تيمية — بين ارادة التشريع ، وارادة القضاء والقدر . فالقسم الأول يتعلق بالطاعات دون المعاصى سواء وقعت أم لم تقع ، والثانى هو ارادة التقدير الشاملة لجميع الكائنات المحيطة بجميع الحوادث ، وقد أراد الله من العالم ما هم فاعلوه بهذا المعنى دون المعنى الأول ، فمن نظر الى الأعمال بهاتين العينين كان بصيرا ، ومن نظر الى القدر دون الشرع ، أو الى الشرع دون القدر كان أعورا .



للاستاذ حمدى رشيد حنبلي
مدرس التربية وعلم النفس
كلية المعلمين ــ الكويت

بين يدى الموضوع

فى الصالون الموحش الصامت انفردت به .. بينما زوجته فى الغرفة المجاورة تنتحب .. لقد مات ولدهما الوحيد ، والذى لم يأت الا بعد سنوات من العلاج ، ولم يحظ بأخ آخر يسليه ، رغم محاولات الطب الدائمة ..

قال لي بصوت منخفض « ... لقد كنت أخاف عليه من كل شيء ... كنت أحوطه بالرعاية ، فلم أتركه يخالط الاطفال الآخرين خوفا عليه من عدوانهم وسوء أخلاقهم، كنت أشفق عليه حتى من ملابسه أحسب لكل شيء ألف حساب. خفت عليه من النوافذ والشرفة ــ ونحن فى الدور الرابع ــ فمنعته بوجودى من أن يظهر عليهما .. وكنت أوصي أمه بذلك فى غيابي ، حاولت أن أهب له الحياة ، عودته على الطاعة وحسن الادب ...

ولكن لكل أجل كتاب . لقد عدت بسيارتي قبل الموعد المعتاد لانصرافي ، لمحته من بعيد متسلقا جدار الشرفة ، وفى أقل من لحظة اختل توازنه وهوى من حالق .. وكان ما قدر له أن يكون ... » .

أجل لكل اجل كتاب .. وانا لله وانا اليه راجعون ... نعم يا أخي ليس لك الآن الا أن تتجمل بالصبر . وتلجأ الى الله عساه يفرج كربك ، ويذهب عنك الحزن . وتركته بعد مدة غارقا فى حزنه وفى نفسي كلام له ولأمثاله ....

★★★

أخي : ــ

لم أكن ساعة زرتك للعزاء بقادر على مصارحتك بشيء .. كنت مشفقا عليك من هول الفاجعة . كدت أقول لك أنك قاتل . نعم لقد كنت سببا فى قتله دون

ان تعلم ، لقد عودته الخوف من كل شيء .. ومنك بالذات ، لأنك القائم على صمام أمنه .. منعته من اللعب مع الأطفال ، مع أنه محتاج لذلك حتى يستطيع أن ينمو النمو السليم ، منعته من كل شيء .. بحجة الخوف عليه وعدم الثقة به .. وهو اما أن يطيعك الطاعة العمياء فيعطل طبيعته الانسانية كطفل نام ، أو يتبع ما تحتاجه طبيعته ، فيخرج عن ارادتك .. وعاش ابنك يعاني من الصراع ما بين المطلبين .. ولكنه استجاب لطبيعته .. لعب مع الطفل فى غيابك ، واستحل جميع ما حرمته عليه فى غفلة منك .. واضحى تصرفه متلونا بلون النفاق الذى تمقته أنت .. فهو قد اعتاد اظهار الطاعة لأنه يخاف .. فى الوقت الذى كان يضمر فيه العصيان . كان كما تقول فى الشرفة ، وتسلق الجدار . وقد اعتاد أن يفعل ذلك مرارا .. وكان الله يسلم فى كل مرة حتى شاء الله أن ترجع فى غير الموعد الذى اعتدت الرجوع فيه وكان ابنك مستغرقا فى لعبه متمتعا به وفجأة لمح السيارة وهو على حال لا ترضاها أنت .. فخاف ، وهاله صورة موقفه بين يديك وتوقع العقاب المعتاد فى مثل هذه الحالة — والخوف كما تعلم انفعال يربك الانسان ويعوقه عن التفكير . فيترك العقل الحرية للجسد ، لكى يهرب من هذا الموقف الذى لا تحبه عله يفوز بموقف آخر يرضيك ... فتصرف بسرعة هوجاء ، فزلت قدمه التي جذبت بقية الجسد معها ، وكانت المصيبة .

تنشئة الأطفال

مسئولية دينية ذات سمة اجتماعية

أرايت يا أخي ، أن كثيرين منا يقتلون أطفالهم كل يوم ألف قتلة بقسوتهم عليهم ، وتخويفهم اياهم .. كم من طفل أضحى نهبا للامراض النفسية ، يخاف حتى من الأطفال الآخرين .

وكم من طفل أضحى نهبا للهواجس النفسية ، فلم يقدر على التوافق الاجتماعي مع من حوله ؟

وترانا — مع الأسف — نبرر سلوكهم هذا بالأدب الجم ، والطاعة والخجل والحياء . وقليل منا من يجرؤ على مصارحة نفسه بحقيقة الأمر . انه الخوف والأزمات النفسية .

اننا كل يوم نلقى الكثير من المشاكل التي نمت معنا منذ نعومة أظفارنا ، اننا أحوج ما نكون الى أن نحيا حياة سليمة غير معقدة . ولن يتسنى هذا لأى شاب فى المستقبل الا اذا أسعدناه اليوم . لنشعر أطفالنا بالأمن فلا نروعهم . وليكن كل منا معهم أشبه بالهمس ، فلا صراخ فى وجوهم ولا سباب ، ناهيك عن التعذيب الجسدى الذى نلحقه بهم بالضرب . ان مسئوليتنا نحوهم مسئولية دينية ذات طابع اجتماعي تتعلق بشكل المجتمع المسلم الذى نسعى لتحقيقه .

ولربما يسأل السائل ((ماذا نفعل)) ؟

أنتركهم لاهوائهم حتى يضلوا ؟ أم نلزمهم الحق حتى يرشدوا ؟ .

ان كل فرد منا يحب ان يرى ابنه خيرا منه . ويأمل أن يحقق فى شخص طفله ما فشل هو فيه . يريد أن يحول جوانب الضعف فى نفسه الى نقاط قوة فى ذات طفله . وهو يريد أن يحقق كل ذلك بغض النظر عن طبيعة هذا الطفل أو مشيئته . وقد نلجأ للاساليب التي تربينا عليها ، معتقدين بأنها خير طرق التربية ،وان الطفل يجب ان يطيع ويخاف والديه ، حتى تتاح لهما فرصة تشكيله ، بالشكل الاجتماعي الذى يؤملونه متناسين قول الرسول صلى الله عليه وسلم

(خلقوا أولادكم بأخلاق غير أخلاقكم فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم) .

لا أنكر على الوالدين حقهما في الايمان بمثل عليا ، اذ أن هذا واجبهما ولكن أرى أن لا يقوم أسلوبهما في التربية على التخويف والقمع وطلب الطاعة بذاتها .

اننا اذا طلبنا الطاعة كغاية فاننا نفقدها اهميتها ، اذ هي ليست فضيلة بحد ذاتها ولكنها وسيلة لأمور أخرى اكثر منها اهمية . اننا اذا أصررنا على أن يطيعنا أطفالنا طاعة عمياء دائما ، فاننا بذلك نحطم في نفوسهم القدرة على تحمل المسئولية ، ونغلق امامهم فرص الابداع والابتكار ، وسيكونون سلبيين ينتظرون باستمرار أن يوجهوا الى ما يجب عليهم أن يعملوه ، وسيتركون غيرهم يفكر في مصيرهم ليساعدهم على حل مشاكلهم . مع أن بالامكان تنمية قواعد راسية في نفسية الطفل ، فيلتزمها بنفس راضية ويطيعها عن طواعية ورضا ، مقبلا عليها بدافع ذاتي .

قواعد السلوك

تنمية مثل هذه القواعد يساعد على تنمية الطاعة . ان الطفل يتعلم منذ اللحظة التي ولد فيها ، وهو كلما تطور في النمو ازداد اكتسابا وتعلما للكثير من الأمور المحيطة به ، ففي طفولته المبكرة ، وقبل أن تنتظم خطواته الأولى ، يستطيع أن يتعلم فعل ما يريد ضمن اطار من القواعد المتعارف عليها ، التي هي جزء من حياتنا الاسلامية ، ودليل من دلائل النضج . أهم هذه القواعد تحديد وقت لتناول الطعام ، وساعة معينة للذهاب للفراش ، ومراعاة النظافة والصحة والمحافظة على سلامة الأبدان والأرواح ، وتقديس العقيدة والشعائر الدينية ، وممارستها والاعتزاز بها ، واحترام وجهات نظر الغير وتحاشي الأخطاء في الطرق والشرفات وكبح جماح الغضب ، وتقدير مواقف الآخرين ومراعاة مشاعرهم .

اننا اذا تقيدنا بهذه القواعد ، فان الطفل مع مرور الزمن سيمتصها ويهضمها ، ويتقبلها كأمر لازم له ينشأ معه . وليس بطارىء أو مفروض عليه بفعل الخوف ، كما لاحظنا في حالة مثالنا في بداية هذا المقال تصبح هذه القواعد اسسا في بناء شخصيته وجزءا من خلقه وسلوكه مع الناس . ان الرضيع اذا ما خضع للتوقيت المحدد في وجبات رضاعته منذ البداية ، فانه سيعتاد الشعور والاحساس بالزمن الذى سيقضيه في شعائره الدينية طيلة حياته (مواقيت الصلاة ، مواقيت الصوم) واذا ما حبا فان الأم مسئولة عن تنظيم أمر غسل يديه المتسختين ووجهه المغبر قبل أطعامه ، وسيفيد ذلك في الوضوء قبل الصلاة . وهي قادرة على تعويده الذهاب الى الفراش في ساعة محددة ، وهو لن يقاوم هذه العادة اذا ما كبر ، واحتياطا للامر نسمح له بأن يصطحب العابه معه الى الفراش ، حتى يسلى نفسه ريثما ينام . المهم اعتياد الذهاب للفراش في وقت محدد .

نعطيه الحرية ليتحسس ويتعرف على الأشياء ، على أن هناك أشياء معينة تضره وعليه أن لا يلمسها ونعلمه اجتنابها بتعليمه كلمة (لا) التي يسهل تعلمها مهما كان الطفل صغيرا .

أذكر طفلا كان يحبو في فناء بيته ، وأمه ترقبه بعينها من بعيد فصدفته قطعة من الزجاج المكسور فتناولها وأراد أن يضعها في فمه ، فجاءته أمه على عجل واخذتها منه وأرجعتها مكانها وهي تقول له (لا) . ولكنه عاد وأخذها فأعادت أمه ما قالت وفعلت في المرة الأولى ، حتى اذا كانت المرة السادسة تركها وانصرف

عنها ، وبقيت قطعة الزجاج مكانها وحبا اكثر من مرة بجوارها ، ولكنه لم يعد اليها قط .

هذا المثال الحي أعطانا فكرة عن كيفية تعليم طفلنا الطاعة لتجنب السلوك الذى نعتقد أنه خطر ، ويحسن تجنبه . فلو ان الام اخذت قطعة الزجاج منه وابعدتها عنه فقط بدون أن تنبهه ، فانه حتما سيجد غيرها عندما تكون هي غير موجودة بجواره لحمايته ، ولربما يبتلعها فتسبب له ما لا يحمد عقباه . ولا ننسى هنا من أن الاسلام يحبذ مراقبة الفرد لنفسه (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا . .) وتنمية هذه السمة الخلقية تساعد على تثبيت تلك القاعدة . وهذا ينسحب على سلوك الطفل فى بيوت الآخرين حيث عليه أن يتعلم الا يلمس ممتلكاتهم الا اذا سمح له بذلك .

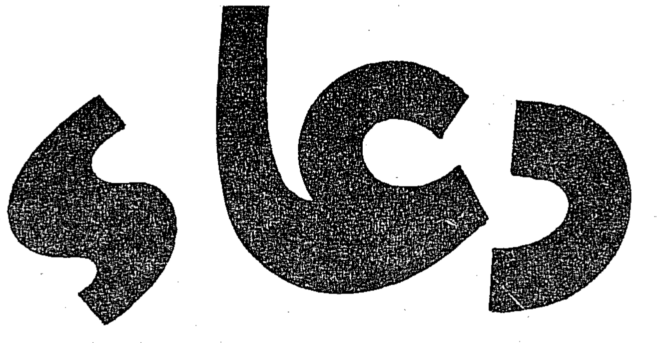
القدوة خير طرق التربية

اذا تمسك الوالدان بالمثل ، وكانت اقوالهم تطابق افعالهم ، فان ذلك يعزز القيم فى نفس الطفل وخاصة وهو محتاج لتعليم القواعد الاساسية قبل الذهاب الى المدرسة فى سن الرابعة (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) . على الوالدين وهما يأخذان بيده فى سلم النمو ان يستعملا اللياقة واللطف مع الحزم فى معاملته . لين بلا ضعف ، وحزم بلا قسوة او عنف . فلا يتراجع عن القواعد الاساسية ولا يتهاون فيها ابدا . . هذا الثبات ـ والاصرار على اتباع القواعد الاساسية للسلوك ـ سيحمى الطفل داخل اطار سلوكى يتضمن الكثير من الحرية التي تدفع الى الابداع الخلاق ، وتحمل المسئولية فى الاختيار وتجربة الوان النشاط المختلف فى شتى شئون الحياة اليومية . وعلى سبيل المثال نترك له حرية اختيار ملابسه والعابه . وعندما يتطور فى نموه نترك له الحرية فى اختيار اصدقائه ، وترتيب حوائجه مع بعض التوجيه غير المباشر ، وفى نفس الوقت يجب الاحتراس من الامور التي لها مضاعفات خطيرة على شريطة ان لا نحرجه فى مراقبتنا له . اذ علينا ان نتمسك باساس معاملته كشخص مسئول ، كما سيكون فعلا بعد قليل . وان نجاح هذه الطريقة فى التربية يعتمد على اتجهات الام فعليها ان تلاحظ ما الذى يشغل بال طفلها قبل ان تطلب منه الالتفات اليها ، عليها ان تعرف مقدار استغراقه واهتمامه به . فان ارادت منه ان يتناول طعامه او الذهاب الى فراشه بينما هو مستغرق فى عمل ما ، عليها ان تترك له فسحة من الزمن كافية لانهاء ما هو بصدده ان امكن . عليها ان تنبهه اكثر من مرة لانهائه ، تقدر ان تقول له مثلا : هل ستنتهي الان ؟ حسنا سأرجع لك بعد عشر دقائق لآخذك للفراش .

اذا بسطنا الامور فان ذلك لا يدل على ضعفنا كما يتوهم البعض . بل هو دليل على حسن ادراكنا لها ان كثيرا من الامهات حتى المثاليات منهن ينفذ صبرهن عندما يتلكأ الطفل او يرفض باصرار اوامرهن ، ونحن جميعا بشر لا نعيش دائما فى مستوى افكارنا .

ولنعلم ان الامر اللفظي لا يعني الشيء الكثير بالنسبة للطفل . فحتى السنة الرابعة اذا اردنا من الطفل ان يعمل شيئا ، أو يمتنع عن عمل ما ، فعلينا ان نأخذ بيده ونعلمه ذلك عمليا وندربه عليه عمليا . . وان كانت هذه الطريقة فى التربية متبعة بالنسبة لنا نحن المربيين الا ان نتائجها سريعة ومضمونة .

والطفل بعد ان يتعلم هذه الطريقة يكون باستطاعته ان يتقبل بالاسلوب الشفهي تلقى التعليمات .



يــــارب

حينما يقذف الهجير على الأر ض ، من الغيظ ، ناره المـواره

فتذوب الظلال في النار حتى لاترى الظل ، أو ترى آثـاره

وترى الكائنات في قبضة القيـ ـظ أسارى .. وما تطيق إساره

وكأن الأشياء توشك أن تشـ ـكو إلى القيظ لفحه وأواره

فلأكن نسمة تمر خطاهـا فوق نار اللظى ، فتطفئ نـاره

وسحابا يظلل الأرض حتى يهبط الليل مسدلا أسـتاره

★★★

حينما تصرخ الأعاصير غضبى ثم تعلو رهيبة الأصـداء

وتظل الأمطار تهطل حتى تشرق الأرض كلها بالمـاء

ويظل المشردون حيـارى أغرقتهم غياهب الظلمـاء

يعبرون الدجى لعل صباحـا يتلقاهم بدفء الضيـاء

فلأكن موئلا حصينا يقيهم من جنون الطبيعة الرعنـاء

وضياء يمحو الظلام ، ودفئـا مستديم السخاء ، ثر العطـاء

★★★

حينما يزحف الخريف إلى الرو ض ، وينساب الضنى والشحوب

فيموت اخضراره مثلمـا مـا ت ضياء النهار عند الغـروب

وتظل الأزهار تشكو أساهـا ثم تمضى بها رياح المغيـب

ويجف الغدير إلا بقايـا كبقايا دماء جرح رهيـب

فلأكن ياربيع روحى ، ربيعا يبعث الروح في المكان الجديب

فإذا الأرض خضرة وزهـور وغدير يروى حنان القلـوب

★★★

للاستاذ ابراهيم محمد نجا
المدرس الاول ــ مدرسة كركوك الثانوية العراق

حينما أبصر الطفولة يومـــا ... وهي تبكي في ذلة وانكســار
فيشب الأسى بقلبي نـــارا ... تتلظى كالعاصف المـــوار
وكأني أرى «علائي» يبكـي ... وهو كنزي وفرحتي وفخاري
وكأني أرى «حناني» تبكـي ... وهي لحن ينساب في أشعاري
فلأكن في ظلامها المر فجـرا ... تستقي منه بهجة الأنـــوار
ولأكن عيدها يطل عليهـا ... بفنون تغري قلوب الصغـار

★★★

حينما يدلهم ليل الحيـارى ... فيسيرون دون أية غايـة
لاشعاع يهدى .. ومن أين يأتي ... ــوالدجى مطبق ــ شعاع الهداية؟
وتثور الشكوك مثل الأفاعـي ... نافثات فيهم سموم الغوايـة
فيرون الوجود مسرح ظلـم ... ويرون الحياة أقسى روايـة
فلأكن ذلك الشعاع الذي يصـ ... ــحب خطو الحيران حتى النهاية
فيريه الحياة في كنه معنـا ... ها ضياء ينساب منذ البدايـة

★★★

حينما تطلق الحروب لظاهـا ... نحو قلب الحياة والأحيـاء
وتثور الأحقاد في كل نفـس ... كالأعاصير في ليالي الشتاء
دون معنى .. إلا لسلب حقـوق ... تحت ستر المبادئ الجوفـاء
فلأكن في النفوس دفقه حـب ... تتلاقي بدفقة من إخـاء
ولأكن في العيون سرب حمـام ... يتغنى في الجنة الفيحـاء
ولأكن في الحياة لحن سـلام ... عزفته ملائك في السمـاء

★★★

هكذا فلتكن حياتي لخير النـاس مثل الضياء .. مثل الهـواء
هكذا فليكن دعائي نشـيدا ... أرسلته روحي وراء الفضـاء
فتقبل مني نشيدي ، وبـارك ... ماسري فيه من كريم الدعـاء
يـارب

شاعر الوفاء

ابن اللبانة

للاستاذ / محمد ابراهيم الجيوشي
المركز الاسلامي بلندن

يستوقف المرء فى أثناء مطالعاته مواقف تجذبه اليها ، بما حوته من معان انسانية نبيلة ، ومروءة فذة تمضى الأزمان وتبقى هى متلألئة كقطعة الماس بين الرمال ، لا تحيل الايام بهاءها ، ولا ينال الزمن من نفاستها ، وأية عظمة أسمى من خلق الوفاء ، وتحمل المشقات فى سبيله بعد أن تغير الزمن ، وتبدلت الحال فى زمن يجرى الناس فيه وراء أصحاب الجاه والسلطان ، وينسون من كان يملأ أسماع الدنيا بالامس حينما يذهب سلطانه، ويصبح أسير بيت لا يكاد يجد فيه الكفاف ، وهو الذى كانت تغمر عطاياه كل من حوله ، ويقصده المادحون من أقصى الارض ؟

فى هذا الجو تجد رجلا يأسره الوفاء ، وتشده المروءة ، فيعرف لصاحب الفضل السابق أياديه ، ويذكر مجده بعد الافول، ويطوى الارض وراء من كان بالامس ملء سمع الدنيا وبصرها بعد أن صار نزيل الاسر والفقر والحاجة ،فتستوقفنا عظمة نفسه ونبل وفائه ، وتستحق منا التسجيل والاشادة .

أما صاحب ذلك الموقف فهو الشاعر أبو بكر الدانى محمد بن عيسى بن محمد اللخمى المعروف بابن اللبانة الشاعر الاندلسى المشهور من أهل مدينة((دانية)) بالاندلس ،يقول عنه عبد الواحد المراكشى:

« وشعره نبيل المأخذ ، وهو فيه حسن المهيع ، جمع بين سهولة الألفاظ ورشاقتها ، وجودة المعانى ولطافتها » .

كان ابن اللبانة شاعرا صادق الحس، يستمد صوره ومعانيه من طبيعته السمحة ، واحساسه الصادق ، وتجاربه النفسية ، ولهذا يحس القارىء لشعره أنه يترجم خوالج نفسه ، ويصور نوازع أحاسيسه ، ويبدو أن ابن اللبانة كان يملك طاقة شعرية مبدعة فلم يحتج الى تعرف علل الشعر وضروبه ، ولم ير نفسه بحاجة الى أن يضيع الوقت فى تحصيل علومه ، وأقوال الباحثين فى العروض والقافية ، كما يفهم ذلك من قوله .

من كان ينفق من سواد كتابه
فأنا الذى من نور قلبى أنفق

وهو من شعراء القرن الخامس ، وتوفى بجزيرة « ميورقة » ٥٠٧ هـ وهى التى يسميها الجغرافيون المحدثون « جزائر البليار » .

وكان ابن اللبانة من شعراء بنى عباد ، أنشد فيهم عيون قصائده وان كانت مدائحه لهم يشاركه فيها الشعراء الذين كانوا يعيشون فى أكتافهم الا أن ذلك ليس مجال بحثنا انما مجال حديثنا هو شعره فى بنى عباد بعد أن زال ملكهم وضاع سلطانهم ، وأصبح المعتمد بن عباد الملك الشاعر منفيا أسيرا ، هنا نجد ابن اللبانة قد ضرب أروع الأمثلة فى الوفاء الانسانى ، وقد ألف فى أخبار بنى عباد كتابين الاول « الاعتماد فى أخبار بنى عباد » فصل فيه تاريخهم منذ بدأت دولتهم حتى زالت ، والآخر « السلوك فى وعظ الملوك » وهو يضم قصائد ومقطعات يبكى فيها دولتهم وأيامهم .

ويبدو من دراسة القصائد التى توجه بها ابن اللبانة الى المعتمد بن عباد فى أيام محنته ورد المعتمد عليها يبدو أن الصلة بينهما كانت أكثر من صلة بين ملك وشاعر ، فقد كانت صلة يقوى أواصرها صداقة وتقدير ومعرفة كل منهما بمكانة صاحبه الادبية ، وفهمه لأغراض الشعر وسموه ، وهذه الصلة لم تتبين معالمها الا بعد محنة المعتمد ، وأول ما ظهر من ذلك حينما استولى أصحاب ابن تاشفين على ملك المعتمد ابن عباد ، وساقوه هو واهله ، ووضعوا القيود فى رجليه ويديه ، ورحلوهم الى مراكش ، والناس قد اجتمعوا على ضفتى الوادى يبكونهم ، ويشيعون مجدهم الزائل ، أهاج هذا المنظر المؤسف عاطفة ابن اللبانة فاندفع فى تأثير يرثيهم ، ويبكى مجدهم الضائع فى قصيدته المشهورة التى يقول فيها .

تبكى السماء بدمع رائح غادى
على البهاليل من آل عباد

على الجبال التى هدت قواعدها
وكانت الارض منهم ذات أوتاد

يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ
فى ضم رحلك واجمع فضلة الزاد

ويا مؤمل واديهم ليسكنه
خف القطين وجف الزرع بالوادى

نسيت الا غداة النهر كونهم
فى المنشآت كأموات بألحاد

والناس قد ملأوا العبرين واعتبروا
من لؤلؤ طافيات فوق أزباد

حان الوداع فضجت كل صارخة
وصارخ من مفداة ومن فاد

سارت سفائنهم والنوح يتبعها
كأنها ابل يحدو بها الحادى

ولما استقر بالمعتمد المقام فى «أغمات» رحل ابن اللبانة اليه ، يدفعه الوفاء ، ويحدوه الاعتراف بالجميل لرجل أحسن اليه يوم كانت الدنيا طوع بنانه ، ثم هو اليوم أسير لا يبرح مكانه ، مغللة يداه بالقيود تذكر ابن اللبانة ما كان فيه المعتمد من مجد ، ثم ما آلت اليه حاله ، ففاضت نفسه بقصيدة باكية يقول عنها الفتح بن خاقان « ندبه بكل مقال يلهب الاكباد ،ويثير فيها لوعة الحارث بن عباد، أبدع من أناشيد معبد ، وأصدع للكبد من مراثى أربد ، أو بكاء ذى الرمة بالمربد ، سلك فيها للاختفاء طريقا لاحبا ، وغدا فيها لذيول الوفاء ساحبا » ومنها.

لكل شىء من الأشياء ميقات
وللمنى من منائيهن غايات

والدهر فى صبغة الحرباء منغمس
ألوان حلته فيها استحالات

انفض يديك من الدنيا وساكنها
فالأرض قد أقفرت والناس قد ماتوا

وقل لعالمها الأرضى قد كتمت
سريرة العالم العلوى أغمات

من كان بين الندى والبأس أنصله
هندية وعطاياه هنيدات

رماه من حيث لم تستره سابغة
دهر مصيباته نبل مصيبات

وكان ملء عيان العين تبصره
وللأمانى فى مرآه مرآة

انكرت الا التواءات القيود به
وكيف تنكر فى الروضات حيات

لهفى على آل عباد فانهم
أهلة مالها فى الافق هالات

ويبدو أن هذه الزيارة قد تكررت من ابن اللبانة الى المعتمد في « أغمات » فيروى المراكشي أنه ورد عليه في أغمات ملتزما عهد الوفاء ، قاضيا ما يجب عليه من شكر النعمى ، فسر المعتمد بوروده ، فلما أزمع ابن اللبانة على السفر ، استنفذ المعتمد وسعه ، ووجه اليه بعشرين مثقالا وثوبين وكتب اليه معها .

اليك النزر من كف الاسير
فان تقبل تكن عين الشكور
تقبل ما يذوب له حياء
وان عذرته حالات الفقير
ولا تغضب لخطب غض منه
أليس الخسف ملتزم البدور
ورج لجبرة عقبي نداه
فكم جبرت يداه من كسير
وكم أعلت علاه من حضيض
وكم حطت ظباه من أمير
وكم من منبر حنت اليه
أعالي مرتقاه ، ومن سرير
زمان تزاحفت عن جانبيه
جياد الخيل بالموت المبير
فقد نظرت اليه عيون نحس
مضت منه بمعدوم النظير
نحوس كن في عقبى سعود
كذاك تدور أقدار القدير
وكم أحظى رضاه من حظي
وكم شهرت علاه من شهير

الا أن ابن اللبانة اعتذر عن قبول ما أرسل به اليه وأعاده اليه مع القصيدة التالية

سقطت من الوفاء على خبير
فذرني والذي لك في ضميري
تركت هواك وهو شقيق ديني
لئن شقت برودي عن غدوري
ولا كنت الطليق من الرزايا
لئن أصبحت أجحف بالاسير
أسير ولا أصير الى اغتنام
معاذ الله من سوء المصير
اذا ما الشكر كان وان تناهى
على نعمى فما فضل الشكور ؟
جذيمة أنت والايام خانت
وما أنا من يقصر عن قصير
أنا أدرى بفضلك منك أني
لبست الظل منه في الحرور
غنى النفس أنت وان ألحت
على كفيك حالات الفقير
أحدث منك عن نبع غريب
تفتح عن جنى زهر نضير
وأعجب منك أنك في ظلام
وترفع للعفاة منار نور
رويدك سوف توسعني سرورا
اذا عاد ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلني رتب المعالي
غداة تحل في تلك القصور
تزيد على ابن مروان عطاء
بها وأنيف ثم على جرير
تأهب أن تعود الى طلوع
فليس الخسف ملتزم البدور

وأنت ترى من أبيات القصيدة أن ابن اللبانة يبرز الدافع الذى ساقه الى المخاطرة بهذه الزيارة المحفوفة بالمكاره في هذه الظروف القاسية الى المعتمد ، وان **الدافع اليها هو الوفاء الذى يطوق عنقه** نحو ذلك الملك الاديب الذى قلب له الدهر ظهر المجن وانصرف عنه طلاب الغنائم والعطايا ، وما كان لرجل هذه دوافعه يسمح لنفسه أن يرزأ صاحبه في ماله ، وأن يأخذ ثمنا لوفائه ، ويحاول **أن يؤكد للملك الاسير أنه يحيا في ظلال** أياديه وأن الايام ان كانت قد حالت بين يديه عادتها من العطاء الجزل ، فان الامل يعمر جوانحه بان الايام ستكفر عن جنايتها حين يعود الى المعتمد مجده ، وأنه سوف يوسعه من عطاياه ، وليس ما هو فيه الا حالة طارئة قريب زوالها كالقمر حينما يعتريه الخسوف الى حين ثم يزول كابوسه ، ويعود للقمر اشراقه وضيأوه وحينئذ سيكون ابن اللبانة في محل يتيه به على الآخرين .

وما أجمل ما ختم به ابن اللبانة قصيدته حين بث الامل في نفس المعتمد ، وتخيل المستقبل يشرق عليه وان لم تحقق الأيام ما تمنى — حين قال .

تأهب أن تعود الى طلوع
فليس الخسف ملتزم البدور

ولكن المعتمد يرد عليه بمقطوعة يضمنها احساسه نحو ابن اللبانة وأنه احساس متداخل بين اللوم والشكر ، ولكنه يقدر لابن اللبانة وفاءه ، وان كان لسان حاله يقول « أنا الغريق فما خوفي من البلل » والحق أن هذه الابيات الخمسة زاخرة بالمعاني مشحونة بالاحساس المتدفق والعواطف المتزاحمة .

رد برى بغيا علي وبـرا
وجفا فاستحق لوما وشكرا
حاط نزرى اذ خاف تأكيد ضرى
فاستحق الجفاء اذ حاط نزرا
فاذا ما طويت فى البعض حمدا
عاد لومى فى البعض سرا وجهرا
يا أبا بكر الغريب وفاء
لا عدمناك فى المغارب ذخرا
أى نفع يجدى احتياط شفيق
مت ضرا فكيف أرهب ضرا ؟

فيجيب ابن اللبانة بقصيدة يؤكد فيها وفاءه، ويتمنى أن تكون له قوة يستطيع بها ان يعبر عن وفائه بأمر يدبره، لانه تعلم المروءة منه ، وهو يرى أن ظفره بأبيات المعتمد أسمى أنواع الصلات وأنه الدر فكيف يطلب التبر بعد ما حصل على الدر من أبياته واليك بعضها .

أيها الماجد السميدع عذرا
صرفي البر انما كان برا
ليت لي قوة أو آوى لركن
فترى للوفاء منى سرا
أنت علمتنى السيادة حتى
ناهضت همتى الكواكب قدرا
ربحت صفقة أزيل برودا
عن اديمى بها وألبس فخرا
وكفانى كلامك الرطب نيلا
كيف ألفى درا وأطلب تبرا
لم تمت انما المكارم ماتت
لا سقى الله بعدك الارض قطرا

ويمر ابن اللبانة بفخر الدولة ابن المعتمد وكان أبوه قد أعده ليتولى الامر من بعده ، وجعله ولى عهده ، فاعجلته الأيام عن مقصده ، وتبدل الحال بفخر الدولة بعد ضياع الملك من أبيه، فلم يجد له بابا يرتزق منه ، ويستعين به على مطالب الحياة سوى أن يبحث عن عمل **يؤديه ، او صنعه يتقنها ، فنزل الى سوق** الصناع ،وتعلم الصياغة، وأصبح كل يوم يجلس فى الحانوت ينفخ الكير ويشعل الفحم ، ويصنع الحلى ، ويراه ابن اللبانة على هذه الحالة فيشتعل قلبه من الاسى وتبتدر دموعه وتجيش خواطره وانفعالاته من هذا المنظر الذى رآه ، ويقارن بين ما هو عليه ،وما كان مؤملا له فينشد قصيدة يودعها أحاسيسه ، وهى قصيدة نابضة تحس وأنت تقرها بما كان يضطرم فى قلب ابن اللبانة من الحسرة ، وما يعتصر فؤاده من الاسى ، واليك بعض أبياتها .

أذكى القلوب أسى، أبكى العيون دما
خطب وجدناك فيه يشبه العدما
أفراد عقد المنى منا قد انتثرت
وعقد عروتنا الوثقى قد انفصما
شكاتنا فيك يافخر الهدى عظمت
والرزء يعظم فيمن قدره عظما
طوقت من نائبات الدهر مخنقة
ضاقت عليك ، وكم طوقتنا نعما
وعاد كونك فى دكان قارعة
من بعد ماكنت فى قصر حكى ارما
صرفت فى آلة الصواغ أنملة
لم تدر الا الندى والسيف والقلما
يد عهدتك للتقبيل تبسطها
فتستقل الثريا أن تكون فما
يا صائغا كانت العليا تصاغ له
حليا وكان عليه الحلى منتظما
للنفخ فى الصور هول ماحكاه سوى
هول رأيناك فيه تنفخ الفحما
ما حطك الدهر لما حط من شرف
ولا تحيف من أخلاقك الكرما

وبعد فهذا موقف شاعر آثر الوفاء وعرف للمروءة قدرها فلم يأل جهدا فى القيام بحقوقهما ، ولم يبال أى مكروه يتعرض له بسببهما فاستحق منا الاشادة وحق للتاريخ أن يسجل موقفه النبيل ، وللاجيال أن تذكره فيمن تذكر من أهل الوفاء .

رحم الله ابن اللبانة وجازاه عن وفائه خير الجزاء .

الهجرة والإسلام بأمريكا

للدكتور / محمد عبد الرؤوف
مدير المؤسسة الاسلامية فى نيويورك

جاء الاسلام الى امريكا عن طريقين ، طريق الهجرة وطريق نشر الدعوة ، ونعقد هذا الفصل للحديث عن الطريق الاول، ونخصص المقال التالى للحديث عن انتشار الاسلام فى امريكا عن طريق الدعوة وعن الحركات الاسلامية المختلفة ان شاء الله .

لقد وصل « كرستوفر كولمبوس » الى ساحل امريكا فى نهاية القرن الخامس عشر ، وان كان قد مات دون أن يدرى انه اكتشف قارة جديدة، او عالما جديدا، ولما علم الناس بحقيقة هذا العالم الجديد وسمعوا عن ثرواته العظيمة ، وامكانياته الطائلة، بدأوا يهاجرون اليه ويستعمرونه، وخاصة من بلاد غرب أوربا ، وامتدت هذه الهجرة ابان القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع

عشر والقرن الحالى . ونشأ عن هـذه الهجرات قيام دول واحداث تاريخية هامة لا يتسع المقام لتفصيلها هنا .

وكان اهم الدول التى قامت فى امريكا الشمالية دولة الولايات المتحدة التـى تتكون الان من خمسين ولاية ، لكل ولاية منها حكومة مستقلة داخليا ، ولهـا عاصمتها وميـزانيتها ، ولـكن هـذه الولايات كلها تشترك فى اتحاد عام لـه حكومة اتحادية مقرها حـاليا مدينـة « واشنطون » ، واهم الولايات ولايـة « نيويورك » ، واهم المدن جميعا مدينة « نيويورك » مركز الاقتصاد العالمى ، ومقر هيئة الامم المتحـدة .

ولقد كان للعرب والمسلمين حظ فى هذه الهجـرة ، ونصـيب من هـذه الاكتشافات ، فقد وجدت امارات تدل على ان بعض الحضـارات الإمـريكية القديمة السابقة على رحلـة كولمبـوس المشار اليها ، كانت على صلات قديمة مع العرب ، كما كتب الجغرافيون العرب عن رحلات بحرية عبر « بحر الظلمات » وهو المحيط الاطلسى ، ووصل بعضهم الـى بعض البلاد المعروفة الان على شواطىء امريكا ، قبل رحلة كولمبوس بعدد من مئات السنين ، وهذه الرحلات القديمة ، والصلات العربية بالحضارات الامريكية السابقة على اكتشاف الغرب للعالـم الجديد تكون دراسة شيقة ممتعة لعلنا نستطيع ان نعقد لها فصلا خاصا فيمـا بعد ان شاء الله . والذى يعنينا هنـا هو حظ المسلمين من الهجرة ، وصـلة الاسلام بأمريكا ابان القـرون الاربعـة والنصف الاخيرة .

لقد كان اتصال الاسلام بأمريكا منذ بدأت الهجـرة الاوربيـة اليها امـرا مستمرا ، وان لم يكن بشكل يؤدى الى قيام منظمات او هيئات اسلامية خاصة. ففى القرن السادس عشر نسمع عن مصرى اسمه « ناصر الديـن » كـان يعيش بمدينة « نيويورك » ، وكان يدعى انه من بيت ملكى ، لذا كان يلقب نفسه بالامير ناصر الدين (١) ، ويبدو انه كان ذا شخصية قوية اكسـبته الاحتـرام والتقدير ، ومما يروى ان هولنديا تحداه وراهنه على ان يدفع له الف قطعة من الذهب اذا هو استطاع ان يظفر بابنة رئيس القبيلة (من قبائل الهنود الحمر) وكانت جميلة فاتنة تسمى « لوتوانا » ؛ وقد نجح الامير ناصر الدين فى ان يكسب صداقة شيخ القبيلة ووده ، ولكنه لمـا فاتحه فى خطبة كريمته اعتذر لانها كانت قد حجزت لاحد ابناء هذه القبيلة التى كانت تسمى « قبيلة موهوك » وكان رأسها والد هذه الفتاة يسمى « شورد اكان » . فعز ذلك على ناصر الدين ، ولم يحتمل الصدمة حيث كان قلبـه قد امتلأ بحب الفتاة فبيت للقضاء على حياتها وناولها سما ليلـة زفافـها ، فقبض عليه وقتل حرقا .

وفى القرن السابع عشر نسمع عن شخصية تسمى « محمد بن غانم » الذى كـان ماهـرا فى المدفعيـة ، ثـم نسمع عـن عائلة تسمى « عائلـة وهاب » او عبد الوهاب ، ولهم قرية تبعد ٣٠ ميلا من ساحل « كارولينـا » الشمالية تسمى « قرية وهاب » ، وقد ثبت ان

(١) لعله كان من المماليك ، وفر عقب الفتح العثمانى لمصر عام ١٥١٧ الى هذا العالم الجديد الـذى بدأ الناس يسمعون عنه ليعيش مع هذه القبيلة المشهورة من الهنود الحمر .

اصل هذه الاسرة عربى اسلامى ، وكان مؤسسها قد حضر فى منتصف القرن السادس عشر لنشر الدين الاسلامى بأمريكا ، فتحطمت به سفينته خارج شاطىء « كارولينا » ثم استقر هناك حيث اعجبه سحر الطبيعة وجمالها .

ثم اننا لا ننسى ان الشحنات البشرية التى جلبت من افريقيا **للخدمة والعمل فى الاراضى الزراعية قد اشتملت على** عدد من المسلمين ، وان لم يتسطع اكثر هؤلاء اقامة شعائرهم ، بل اكرهوا على قبول دين سادتهم والتسمى بأسمائهم . ونقرأ فى بعض السجلات انه بين شحنات الرقيق التى جلبت عام ١٧٣٣ عدد من العرب الذين ابوا الا ان يستمسكوا بدينهم ، رغم القسوة ووسائل الاكراه والعنف . فجلب موقفهم العطف عليهم من جانب البعض فحرروهم وساعدوا على اعادتهم الى اوطانهم .

وفى القرن الثامن عشر نجد ان « مجلس النواب » فى « كارولينا » يوافق على ان يحاكم المسلمون من رعايا امير مراكش تبعا لقانون الولاية العام كسائر المواطنين الاوربيين ، لا تبعا للقانون الخاص بالزنوج ، كان هذا عام ١٧٩٠ . وقبل ذلك اى عام ١٧٧٣ كانت حكومة مراكش قد اعترفت باستقلال الولايات الامريكية الشمالية ، عقب الثورة المشهودة ضد الحكم البريطانى . وقد اعقبت هذه الثورة حركات دينية وجدل عنيف حول حق حرية العبادة للكاثوليك واليهود واتباع محمد (اى المسلمين) **مما يدل على وجود عدد من المسلمين فى ذلك الوقت يبرر ذكرهم فى** مثل هذا الجدل .

وفى بداية القرن التاسع عشر نسمع عن رقيق عربى يسمى «عمر بن سعيد» كان يعمل فى احد حقول القطن فى « كارولينا الشمالية » عام ١٨٠٧ اى قبل منع استيراد الرقيق بعام واحد . وقد اعجب سيده بثقافته العالية فأعتقه وعامله كعضو من اسرته . وكان يكتشف اسلام الرقيق بسماعه بعض الكلمات الاسلامية المشهورة منه كلفظ « الله و محمد » او الامتناع عن تناول المسكر او لحم الخنزير .

كما تدل الاحصاءات عن الكابين بين العامين ١٨١٩ و ١٨٦٠ على وجود عدد من الاتراك المصريين والعرب والمراكشيين .

وفى عام ١٨٤٠ حضر الى ميناء « نيويورك » شخصية عربية ممتازة احدثت ضجة واهتماما تسمى « احمد ابن نعمان » ، على ظهر سفينته المسماة « السلطانة » ، فى رحلة تجارية تهدف الى عقد معاهدات تجارية باسم سلطان ، « زنجبار » ، وقد اثار احمد هذا ومن معه من البحارة العرب اهتمام سكان « نيويورك » الذين اكرموا وفادته طوال شهور اقامته ، ورسمه احد الفنانين المواطنين اعجابا بزيه وهيبة طلعته .

وفى عام ١٨٥٦ استوردت حكومة الولايات المتحدة شحنة من الجمال العربية لاستخدامها فى الجنوب الغربى الذى تشبه أرضه ارض صحراء الجزيرة، وكانت هذه الشحنة تتكون من ٣٣ جملا

معهم ثلاثة من الجمالة على رأسهم « الحاج على » . ووصلت شحنة اخرى قدرها ٤٤ جملا فى العام التالى ، وقد صرف النظر عن فكرة استخدام الجمل بسبب قيام الحرب الاهلية الامريكية عام ١٨٦١ ولكن بقى الحاج على ونجح فى عدد من الاعمال ، ومختلف انواع النشاط ، فلقى احتراما عظيما فى امريكا ، واطلق عليه الناس « هاى جولى » تحريفا لكلمتى « الحاج على » ولما مات فى ١٦ اكتوبر ١٩٠٢ عن عمر طوله ٧٣ عاما اقيم على قبره مقصورة حيث دفن فى ولاية « اريزونا » عليها لوحة تثنى على خدماته للولايات المتحدة، ونصب جمل على أعلى ضريحه الذى بنى على شكل هرمى ولا يزال يزار حتى الان .

وهكذا يبدو لنا من هذا العرض السريع انه منذ اكتشفت بلاد امريكا فى نهاية القرن الخامس عشر ، وبدأ عمرانها عن طريق الهجرة من بلاد غرب اوربا كانت شمس الاسلام تطل دائما على « العالم الجديد » ، وان لم يكن المسلمون من الكثرة بحيث يتركون اثرا ملموسا واضحا به .

فلما انتصف القرن التاسع عشربدأت امواج الهجرة تتتابع على امريكا لا من غرب اوربا فحسب بل من بلاد شرق اوربا ومن بلاد الشرق الاوسط والشرق الاقصى ، وكانت الافواج القادمة من هذه الجهات تشتمل على اعداد كبيرة من المسلمين . وساعد على هذه الهجرات ما سمعه الناس عما بأمريكا من ثروات وخيرات ، وكان تقدم صناعة السفن التجارية مما شجع كثيرا من المغامرين ، ويسر لهم عبور البحار الى العالم الجديد فى سبيل طلب الرزق وكسب العيش ، وكان من اهم هذه الافواج القادمون من البلاد العربية وخاصة من بلاد الشام وفلسطين ، وكان اكثر افواج الهجرة العربية فى أواخر القرن الماضى من المسيحيين (وينسب بعض الكتاب ذلك الى سوء معاملة النصارى فى بلاد الاسلام ، وهذا افتراء عجيب . أفلا تزال الملايين من الاقليات المسيحية تعيش فى ظل حكومات اسلامية لا تشكو مما يزعمه هؤلاء ؟) ولعل السبب فى ذلك هو ان الحكومة التركية التى كانت تسيطر على العالم العربى فى ذلك الوقت كانت تضع العراقيل امام الراغبين فى السفر من المسلمين ، وكانت تعتبر ذلك فرارا من الخدمة العسكرية التى لم تكن مفروضة على غير المسلمين من رعاياها . اما الافواج العربية الوافدة بعد فى بداية القرن الحالى (العشرين) فكانت تشتمل على عدد كبير من المسلمين بينهم غير قليل ممن قصد الفرار من الخدمة العسكرية اثناء الحرب العظمى . وعلى كل حال فقد تيسرت الامور للمهاجرين العرب فى وطنهم الجديد وظفر غير القليل منهم بحظ وافر من النجاح والجاه ، وقامت نهضة ادبية بديعة رائعة يطلق عليها « ادب المهجر » . وقد تواصلت هجرة العرب الى البلاد وخاصة عقب قيام اسرائيل المزعومة فولى بعض اللاجئين وجههم شطر العالم الجديد . ويقدر عدد المسلمين من العرب بنحو ثلاثين الف نسمة .

وكما ازدادت افواج الهجرة من البلاد العربية فى النصف الاخير من القرن الماضى ، وفى بداية القرن الحالى فقد قارنتها موجات من الهند واندونيسيا وايران ، ثم من الباكستان وتركيا التى

توافدت على امريكا الشمالية ، كما ان الغاء الرق فى وسط القرن الماضى حدا ببريطانيا الى جلب الايدى العاملة من الهند فى اعداد كبيرة الى مستعمراتها المعروفة بجزر الهند الغربية الواقعة بالبحر الكريبى والمواجهة لساحل امريكا الشرقى ، وذلك مثل « ترينداد » و « غيانا البريطانية » ، كما جلبت هولندا الايدى العاملة من اندونيسيا الى « غيانا الهولندية » ، وكان بين هذه الجاليات القادمة الى البحر الكريبى عدد كبير من المسلمين الذين اعتزوا بدينهم ، وحافظوا على تعاليمه وانشأوا المساجد والمدارس الاسلامية .

ويحتل بعضهم الان مناصب كبيرة من بينها مناصب وزارية ، كما ان عددا من المهاجرين العرب اتجهوا الى « فنزويلا » بأمريكا الجنوبية ، ويقدر عدد المسلمين هناك بنحو ٤٥ الف نسمة ، اما عدد المسلمين فى البحر الكريبى فيقدرون بنحو ٨٠ الفنسمة فى «غيانا الهولندية» و ٦٥ الفا فى « غيانا البريطانية » و ٦٠ ألفا فى « ترينداد » .

اما الهجرة من بلاد شرق اوربا فقد كانت الاسباب السياسية اكبر عامل ادى اليها ، فدفع ذلك المسلمين الى ان يفروا بدينهم الى حيث يمكنهم اداء شعائرهم الدينية فى حرية وامان ، وقد بدأت هجرتهم فى نهاية القرن التاسع عشر ، واستمرت فى بداية القرن الحالى، ثم ازدادت بقيام الحركة البلشفية فى روسيا ثم ازدادت بشكل واضح بعد الحرب العالمية الثانية والانقلابات الشيوعية فى عدد من بلاد شرق اوربا .

لذا نرى هنا جاليات اسلامية عديدة من تتار وقوقازيين وألبانيين ويوغسلافيين وسرقازبانيين ، وهكذا ادت الهجرة الى وجود خليط بشرى اسلامى عظيم فى امريكا الشمالية ، يبلغ عددهم مائة الف او يزيدون ، يتركزون فى المدن التجارية والصناعية الكبرى مثل « نيويورك » و « ودترويت » و « شيكاغو » و « لوس انجلوس » « وسان فرنسسكو » وان كان يوجد منهم عائلات متفرقة فى شتى المدن والعواصم (١) .

واكبر هذه الجاليات على الاطلاق يوجد بمدينة نيويورك . ومنذ كثر المهاجرون بدأوا يفكرون فى اقامة منظمات ونواد ، حيث يجتمعون فى جو يذكرهم بأوطانهم ، ويتيسر لهم فيه اداء شعائرهم ، والاحتفال بمناسباتهم الدينية والوطنية مما سنتحدث عنه فى فصل خاص ان شاء الله .

---

(١) قصدنا فى حديثنا عن الهجرة الى امريكا هؤلاءالوافدين بقصد الاقامة الطويلة او الدائمة ، والا فهناك ايضا الوافدون فى اقامة مؤقتة لمهامدراسية او حكومية ، ففى جامعات امريكا من الطلاب المسلمين ما يقرب من عشرين الف طالببينهم خمسمائة طالب من دولة الكويت وحدها . كما يوجد عدد من الدبلوماسيين فى سفاراتالبلاد الاسلامية لدى هيئة الامم المتحدة بنيويورك ، ولدى حكومة الولايات المتحدةالامريكية بواشنطون وكذلك بشتى القنصليات فى نيويورك . كما يوجد عدد كبير ممن يعملونفى المكاتب السياسية ومكاتب الاستعلامات والمكاتب التجارية وشركات السفر والسياحةوغيرها القادمين من البلاد الاسلامية .

ويبدو أن السبب : هو ضخامة الجزيرة ومناعة حصونها ، وقوة حاميتها ، مع صغر الحملات الاسلامية المسيرة اليها ، ثم طبيعة هذه الغزوات نفسها ، اذ أنها لم تكن فى الغالب ذات صبغة رسمية ، وانما بعث بها ولاة ، أو قامت بها جموع على مسئوليتهم الخاصة ولحسابهم ، تحفزهم روح الجهاد ضد أعداء الدين ، ويغريهم ما ترامى الى أسماعهم ، أو خبروه عن ثروة الجزيرة ، ومبلغ غناها .

يضاف الى ذلك عدم استقرار الأمر فى شمالي افريقية ، لقيام الثورات والفتن فى أنحائها ، حيث أن البربر لم تهدأ ثائرتهم أبدا ، وكلما وجدوا فرصة للانقضاض انتهزوها .

غير أن هذه الغزوات قد ساعدت على تعرف معالم الجزيرة ، وحال سكانها من ضعف وقوة ، فكانت الحملات الرسمية فيما بعد بمثابة أعمال كشفية ، وان لم يكن ذلك فى حسابهم على ما نعتقد .

* * *

ومع ذلك فلم ينقض زمن طويل حتى استعد المسلمون لغزو جزيرة صقلية ، وعزموا على فتحها والاقامة فيها ، فقد بلغت الاساطيل الاسلامية فى أوائل القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) فى افريقية والأندلس مبلغا من القوة والاستعداد لم تبلغه من قبل ، وعنيت حكومة الأغالبة فى افريقية (تونس) بالأسطول عناية كبيرة حماية لشواطئها من عدوان البيزنطيين والفرنجة (١) .

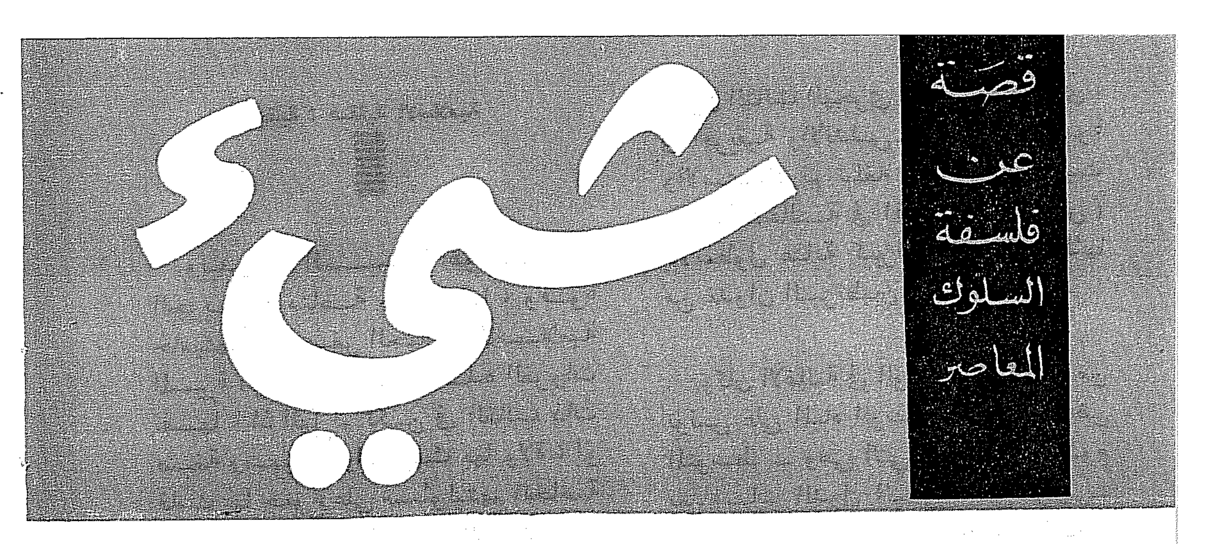
وكان الأغالبة فى الواقع يسيطرون من تونس على المياه الوسطى للبحر الأبيض المتوسط – وهى التي تضطرم اليوم بمنافسات الدول البحرية الكبرى – وكانت أساطيلهم القوية تجوس خلال هذه المياه فيما بين شواطىء افريقية ، وايطاليا ، وفرنسا ، وحتى سردانية ، وقوصرة من جزر هذا البحر ، وتثخن فى شواطئها .

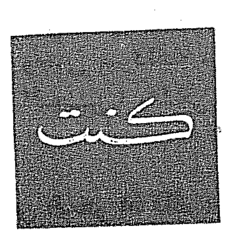
وكانت صقلية عروس البحر اذ ذاك ، لمركزها الممتاز ، وضخامتها ، وغناها الوافر تبدو لهم غنيمة قيمة سهلة المنال، فكانت مطمح أنظارهم ، ومرتقب آمالهم ، يتحينون الفرص لاقتناصها وامتلاكها ، فلما حانت الفرصة المناسبة ، وأنسوا من أنفسهم القدرة ، اقتحموا عليها البحر ، وانتزعوها من أيدى أباطرة الرومان بين عشية وضحاها ، بعد أن جاهد المسلمون الأوائل فى سبيل أخذها مائة عام سويا .

أما كيف افتتحها المسلمون ؟ وما أسباب ذلك ؟ فهذا ما سنعرض له باذن الله فى مقال آخر .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٧٧ – ٢٧٩ . وقد أوضح نشوء فكرة الغزو البحرى عند المسلمين ، ومبلغ عنايتهم بالأساطيل «حتى عظمت صولتهم وسلطانهم فى بحر الروم (الأبيض المتوسط) فلم يكن للأمم النصرانية قبل بأساطيلهم بشىء من جوانبه ، وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم ، فكانت لهم المقامات المعلومة من الفتح والغنائم » .





في قطار الليل منطلقا الى الجنوب ، ورحت من خلال نافذة عربة النوم أتابع انعكاسات نور القمر الفضي على القرى ومياه الحقول ، كان الكوكب المضيء يبدو في عليائه كرقيب أمين وقور على البشرية التي تتهيأ لنعاس الليل ، ودق ناقوس عربة الأكل في القطار يدعو الراغبين الى العشاء وقمت اليها مع من قام ..

كان أكثر المسافرين من السائحين الأجانب ، وكان أكثرهم يحب أن يشرب حتى يترنح ، ان الشرب عند بعض الناس قرين المتعة وزميل الغربة ، وظل الى القرب مني شاب اوربي هادئ الطبع لم يطلب بعد العشاء الا كوبا من الشاي .

وعجبت في نفسي .. أوروبي وشاب ثم هو لا يشرب .. !! ؟ كيف يتأتى هذا .. ؟

★★★

ووددت لو استطعت أن أقطع الوقت معه في بعض الحديث أو النقاش ، فالمرء تستهويه الأشياء النادرة .. وهذا انسان نادر ولا شك .

وأخذت أتحين الفرصة .. وألتمسها .. حتى جاءت .. وفي الأسفار ، وفي قطارات الليل خاصة يطيب للانسان أن يتحدث ولو قليلا الى الآخرين .. فلما اعتذر مساعد العربة عن وجود عود ثقاب معه ، قدمت الى الشاب علبة الثقاب التي كنت أحملها ، فأشعل غليونه ورد العلبة مع شكر رقيق ، فعرضت عليه أن يستبقيها لأنني لا أدخن ، فتقبل العلبة مكررا الشكر وسألني في تعجب ...

أنت لا تدخن .. !! ؟ يندر أن نرى الذين لا يدخنون .

قلت مبتسما حريصا على الفرصة : وكذلك الذين لا يشربون ...

فنظر الى كوب الشاي الذي أمامه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة .

وأردت أن أغوص وراء استخراج اجابة على سؤالي ، فقلت مستطردا :

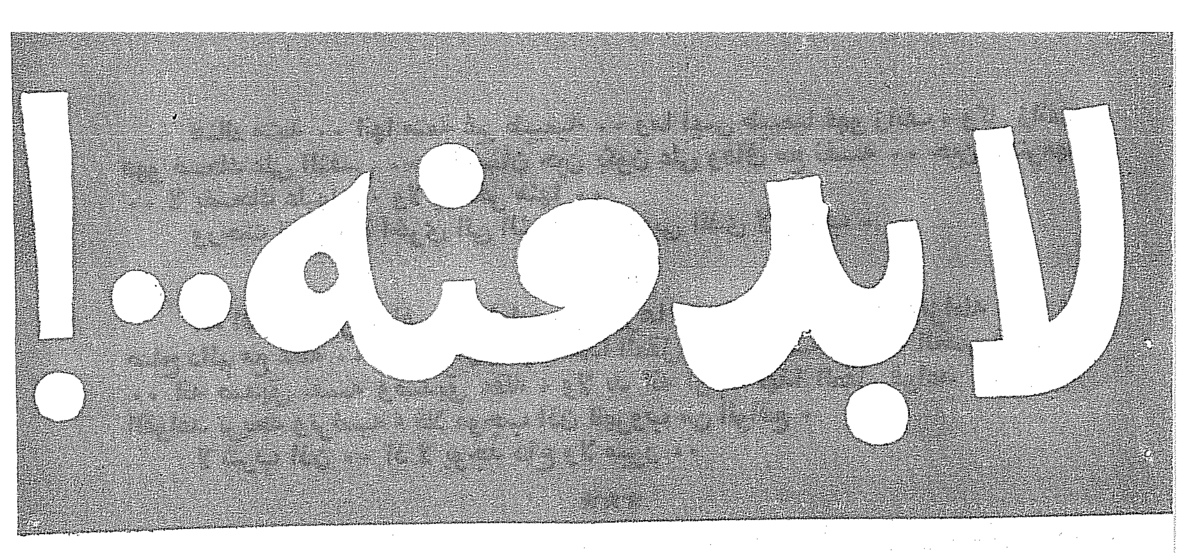
لعل نوع الشراب المطلوب ليس حاضرا ... !!

فهز رأسه وهو ينتزع غليونه من فمه ..

لا .. عفوا .. انى لا أشرب على الاطلاق ..

قلت : ربما .. تدينا .

فاتسعت الابتسامة على شفتيه ، ولم ادرك تماما لماذا اتسعت هذه الابتسامة في هذه المرة ، ولكنه أردف :



للأستاذ محمد لبيب البوهي

لا أشرب .. لسبب بسيط ، ذلك لأنني على وفاق مع نفسي ..

***

على وفاق مع نفسه .. !! ؟

تردد صدى الكلمات فى خيالى ورحت ألتمس لها تفسيرا .. ولم أسأله فليس من حقى أن أقف منه موقف الاستجواب ولما يمض على تبادلنا الحديث العابر غير لحظات ..

لا يشرب لأنه على وفاق مع نفسه .. !! ؟ أى أنه راض عن نفسه .. يحب نفسه .. يحترمها ..

لقد أخذت المترادفات تطوف فى ذهني كفراشة هائمة لم تجد لها مستقرا ..

وازدادت سرعة قطار الليل .. واطلقت القاطرة العائدة من الجنوب على الخط الحديدى المجاور صفيرها العالى ، ولمعت على التوالي فى زجاج النافذة التي الى جوارى انوار مصابيحها ، فامتنع الحديث لحظات رحت خلالها أفكر .. ومن جوف الصمت كانت ملامح الاجابة تتراءى على أفق الخيال .. هذا الرجل لا يشرب لأنه على وفاق مع نفسه ..

***

أجل .. الشرب اذن هروب من الواقع .. تغطية واقع الانسان فى غلالة شفيفة من بخار الخمر .. الأمر واضح ليس فيه فلسفة .. فان هذه الغلالة تبعدنا عن أنفسنا .. عن واقعنا .. انها تباعد بيني وبين نفسي .. الخمر تقيم بين الانسان ونفسه حجابا صفيقا .. وهو يرتاح الى ذلك ، ويسعى اليه حين لا يكون على وفاق مع نفسه .. حين يكون فى خصام معها .. انها عدوة له ، وهي تساكنه فى أعماقه .. نفس قلقة غير مطمئنة .. اما النفس المطمئنة فهى شيء آخر .. انها على وفاق مع صاحبها ، كل منهما صديق للآخر ، يحبه ولا يريد الافتراق عنه .. فالذين يشربون الخمر ليسوا على وفاق مع أنفسهم .. هناك دبابيس فى أعماقهم تخزهم ، يريدون أن يخدروا أنفسهم من الم وخزها .

وقلت لنفسي ولكن هناك متعة .. شعور بنشوة .

وكان العقل فى أعماقي يتساءل ويتولى الجواب .

هناك متعة .. انها متعة غير طبيعية .. وما ليس طبيعيا فهو زائف ، وكل زائف فهو ضحك على النفس .. والانسان حين يكون على وفاق مع نفسه .. حين يحترمها .. لا يضحك عليها .. ولا يسخر منها ..

ورحت أنظر مرة أخرى الى الشاب الأوروبى الذى لا يشرب .

★★★

انه الشاب يعرف نفسه تماما .. يسايرها وتسايره .. يزاملها وتزامله ، انه فى صلح دائم مع عقله .. لا يريد أن يضرب هذا العقل على أم رأسه بمقرعة الخمر فيخدره .. انه صديق نفسه وصديق عقله ، ولا بد أنه أوجد لهذا العقل قواعد .. وهذه القواعد تريحه وترضيه ، فلا موجب اذن للهروب من الواقع .

لا شرب اذن .. اذ لا يوجد داع ولا مبرر ..

★★★

ورنت ضحكات أنثوية ، وانبثق فجأة فى رحاب عربة القطار جو من العطر ، فقد دخلت العربة من الباب الآخر مجموعة من السيدات الأجنبيات — كن اوروبيات — والتفت أكثر الناس ليملأوا عيونهم .. أما هو — .. هذا الشاب أيضا فقد أخذ ينفض بقايا غليونه وأردت استدراج الشاب نحو حديث جديد .. موضوع آخر فقلت :

« المودة » هذا العام هى كشف الركبة .. ترى هل ستعود المودة فيما بعد الى تغطيتها .. أعنى تكون ملابس السيدات تحت الركبة ؟ .

قال فى عزم واصرار .. أعتقد ذلك .. لأن هذا هو منطق الأشياء .. أو هو دورة الزمن .. اننا أسرفنا الى أقصى حد فى الاختلاط .. وفى الاختلاط يستطيع المرء أن يحادث أو يجالس أو يزامل أو يراقص عشرات من النسوة ..

قلت نعم .. هذا يحدث .

فقال : من هنا نشأت المباراة .. كل امرأة وسط هذا التنافس تريد أن تفوز بأكبر قسط من الاعجاب .. لذلك بدأت تتفنن فى جلب الأنظار .

قلت : صدقت .

فضحك وقال : أنت تقيس كلامي وتزنه بميزانكم .

قلت وانها لمقاييس دقيقة ثابتة : فالمرأة حين كان لها وقارها كانت تجد خزيا ومعرة فى أن تكشف صدرها أو جزءا منه ، أو تشد الازار حول خصرها حتى تعتصره أو تعرى ركبتها لأنها تخرج بذلك عن دائرة الكرامة الانسانية الى عالم اللحم .

قال مؤمنا : نعم هو عالم اللحم .. Flesh

« المودة » تختلف عاما بعد عام .. لأنها تحاول عرض اللحم البشرى فى أطباق شهية ، وما الأطباق غير الأزياء من كشف الركبة الى ما سواها ، وحين يتناول الانسان طعاما واحدا فانه يسأم أو يمل ، لذلك تتغير الأطباق . اى الأزياء .. أى ألوان المودة .. يظل الصدر مكشوفا ، وكذلك الابط . وسنة بعد أخرى يصبح ذلك أمرا طبيعيا ، ويصبح المنظر غير مثير ، بل قد يثير الاشمئزاز عند المبالغة فيه ، عندئذ يلجأ الطباخ ، والطباخ هنا هو مصمم الأزياء ويبتكر طرقا جديدة لتقديم نفس اللحم بتوابل أخرى ، فتصدر التعليمات الى الصدر كى يغطس نفسه ، ثم تصدر التعليمات فى ذات الوقت الى الظهر ليتعرى ، وحينما تدور دورة الزمن ، ويصبح منظر مئات الألوف من الظهور العارية مألوفا غير ملفت للأنظار ، يبتكر المبتكرون فى عالم اللحوم أشياء جديدة ، هى كشف الركبتين مثلا .. يبدأ الأمر بكشفها خمسة سنتيمترات ثم عشرة ، ثم عشرين فيعم الاشمئزاز ، ويبدأ الرجال فى أن يبصقوا على الأرض ، فتعود المرأة فورا الى الفستان الطويل .

انها الموائد الجنسية .. هناك فى بعض بلدان الغرب ، يعوم الناس فى بحر من

الجنس والاباحية .. ان قنابل الحرب هدمت الأعصاب ، وهدمت المقاييس والقيم وولد الملايين من الشباب فى جو القرف والقلق والخوف ، فكا نلا بد من البحث عن التعويض فى دنيا الملذات .

قلت للفيلسوف الصغير : هل يصدق على الطوفان الجنسى فى بعض البلدان الأجنبية الغربية التى طغى عليها الانحلال ، هل يصدق على الجنس ما يصدق على المودة .. أعنى دورة الزمن ! ؟ .

قال : لا بد .. لا بد .. لا بد .. حين يصبح الجنس شائعا وسهلا ورخيصا سيبدو مبتذلا .. وبحكم الملل والقرف يبدأ الناس فى البحث عن لذة من نوع جديد .. لذة لا قرف فيها ولا ملل ..

فوقفت ورحت أنظر من النافذة عبر الحقول ، فقد بهرنى ضوء قوى انبثق فجأة من المحطة التى توقف فيها القطار وتبسمت ضاحكا .

قال : لماذا تضحك ؟ .

قلت : أضحك لأننى تذكرت .. تذكرت ان الموازيين القديمة جعلت كل شىء بمقدار ، هذا المقدار يعصمك من القرف . وحين يأتى تيار ليجرف الناس الى عالم اللذة .. يجدون سدا يقول لهم .. قفوا .

هذه الموازيين .. أو المقاييس .. أو المبادىء الثابتة . سمها كيف شئت ترفع من قدر المرأة . وتصون كرامتها ولا تهوى بها أبدا الى عالم .. اللحوم .

هذه المقاييس ، أو الموازين .. أو المبادىء الثابتة .. سمها ما شئت تعطى المرأة حق الزينة .. الزينة الى أقصى الحدود ،ولكن لرجل واحد .. هو الزوج .

حين تكون البيوت هى جنة الأزواج لن يكون هناك مبرر للانطلاق الأحمر .. لانه اذا انطلق فان هذه المقاييس أو الموازيين ، أو المبادىء سمها ما شئت لن تدع له فرصة أو مجالا الى زوجات الآخرين .

عند ذلك تنمو الأسرة ويولد الحب ، ومن الحب تزرع شجرة السلام .

وفى غضون السلام العام .. والعقل العام .. والضمير العام .. والاتزان العام .. والمبادىء العامة لن يفقد الناس اعصابهم ، ولن يجدوا داعيا للهروب من هذا القرف الى طوفان اللذة .

★★★

ومرة أخرى انبثقت فى رحاب عربة القطار ضحكات لها رنين .. وانتشر جو من العطور ، وتمايل كثيرون وكثيرات .

واستطردت أقول : ان اللحوم قد تبدو فى معرض الجزارة ملفوفة فى أثواب من حرير ، وقد يزينها الجزار ، ولكن هذا لا يمنع أن يدب اليها العفن فتصبح جيفا تعافها حتى الذئاب بعد أن تشبع ... الملل والضيق والشعور بالضياع كل ذلك وليد الاسراف فيما ليس طبيعيا ..

الراحة والسعادة . والاتزان . فى المقاييس أو الموازين التى أشرنا اليها ، وهى لن تأتى الا من فوق ، لأنها تعاليم خالدة فى أم الكتاب .. خطوط مستقيمة مرسومة بدقة فى طريق النور — فى كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ... للسعادة. للخير . للجمال .. لتذوق طعم الحياة .. هذا هو الشىء الذى لا بد منه .

★★★

وانطلق القطار بأقصى قواه ، لقد كان قد تراخى لحادث الم ببعض القضبان ، ولكنه استجمع عزمه ، وجرى فى أمان على الخط الحديدى الذى تم أصلاح عيوبه الى حيث يتمتع السائحون بدفء الجنوب وآثاره .

طوبى لمن يتفكرون .

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى اسئلة القراء وتجيب عنها .

الوصية

السؤال : —

١ — هل يجب على الانسان أن يوصي حال حياته ببعض أمـواله ليصرف بعد وفاته في وجوه الخير ؟ وهـل يجوز له شرعا أن يعهـد الى أحد أولاده بتنفيذ وصيته ؟ .

٢ — هـل تجب الـزكاة في رواتـب الموظفين ؟ .

بركات المطيري — ميناء الدمام

الاجابة : —

١ — كان يجب على الانســان — فى صدر الاسلام — اذا أشرف على الموت ، وعنده مال أن يوصى ببعضـه للوالدين والأقربين . قال تعالى : « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان تـرك خـيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعـروف حقا على المتقين » ثم نسخ الحكم بآيـة المواريث ، وبقى ندبها ، الا فى جانب من عليه حق لله تعالى كزكاة أو حج ، أو حق آدمى بلا شهود ، فانه يجب عليـه ان يوصي بأداء ذلك .

ولا ينبغي لمسلم ميســور الحال أن يمكث بدون كتابة وصـيته والاشــهاد عليها ، فانه خير عاجل يفوت بالموت .

عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليـه وسلم قال : (ما حق امرىء مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده) .

والوصية المندوبة تكون فى حدود ثلث مال الموصى ، ويندب النقص عنه اذا كان الورثة فقراء والا فلا ، واستقر الاجماع على عدم جـواز الـزيادة على الثلث فى الوصية الا اذا أجازها الورثة .

عن سعد بن أبى وقاص قال : مرضت عام الفتح مرضا أشرفت منه على الموت ، فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى ، فقلت : يا رسول الله ان لي مالا كثيرا ، ولا يرثنى الا ابنتي . أفأوصى بمالي كله ؟ قال : لا . قلت : فثلثى مالى . قال : لا . قلت : فالشطر . قال : لا . قلت : فالثلث . قال : الثلث . والثلث كثير . انك ان تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس .

وللموصي أن يختار من يراه أصـلح لتنفيذ الوصية سواء أكان من أولاده أم من غيرهم ، ولا شك أنه اذا كان يوجد من ذريته من يأمنه على تنفيذ وصيته ، فهو أولى وأحق من سواه .

رواتب الموظفين

٢ ــ ولا تجب الزكاة فى رواتب الموظفين الا اذا ادخر الموظف من راتبه قدرا بلغ النصاب وحال عليه الحول ، فانه يجب عليه اخراج الزكاة عن هذا المبلغ المدخر فى نهاية الحول ، شأنه فى ذلك شأن جميع الأموال المدخرة سواء أكانت من راتب أو من غيره .

فى الــزواج

السؤال : ــ

اعتــاد بعض الناس أن يتــولى عقد زواج ابنه البالغ الرشــيد من امــرأة يختارها له بدون رغبته ومن غير اذنه ، فهل ينفذ هذا العقد شرعا ؟ .

سيار أحمد ــ الكويت

الاجابة : ــ

عقد الأب لابنه البالغ الرشــيد عقد يتوقف نفاذه على اجــازة الابن اذا كان العقد صحيحا مستوفيا شرائطه وأركانه الأخرى ، فان أجازه الابن نفذ ، وان لم يجزه لا ينفذ العقد .

فى الميراث

السؤال : ــ

رجل توفى عن زوجة وســتة أولاد : ذكر وخمس بنات وأخوين نرجو تقسيم التركة على المستحقين .

خلف عبد العزيز

الاجابة : ــ

توزع التركة على الوجه الآتى :

للزوجة الثمن فرضا ، لقوله تعالى : « فان كان لكــم ولد فلهن الثمــن » . والبــاقي يــــوزع على الخمس بنــات وشقيقهن الذكر ــ للذكر مثــل حــظ الأنثيين ولا شىء للاخوين لحجبهما بالابن العاصب الأقرب ، وذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين .

السؤال : ــ

أولا ــ توفيت امرأة عن عــم وأولاد بنت .

ثانيا ــ ثم توفى العم عن ابن .

فما نصيب كل من الورثة ؟ .

ع . ك ــ الكويت

الاجابة : ــ

بوفاة المرأة تكون تركتها لعمها فقط لأنه عاصب ، ولا شىء من الميراث لأولاد البنت ذكورا ، واناثا ، لأنهــم من ذوى الأرحام ، ولا يرثون مع وجود عاصب ، وذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين .

وبوفاة المتوفى الثانى (العــم) تكون تركته لابنه فقط وذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين .

هذا وبالنســبة للمتوفاة الأولى فان أولاد البنت وان كانوا لا يرثون بمقتضى قواعد الميراث عند الأئمة الأربعة الا أن هنــاك قانــونا نافذا فى بعض الأقطــار الاسلامية يعــرف (بقانــون الوصــية الواجبة) واســتند فيــه المشرعون الى بعض المذاهب الفقهية الأخرى .

وبمقتضى هذا القانون يستحق أولاد البنت من تركة المتوفاة ما كانت تستحقه والدتهم من ميراث أمها لو كانت موجودة على قيد الحياة حين وفاتها ، وذلك فى حدود الثلث وبشرط ألا يكون الميت قد أعطاهم بغير عوض من طريق آخر قدر ما يجب لهم وان كان أعطاهــم أقــل منه وجبت وصية بقدر ما يكمل النصيب .

وابراء للذمة وصــلة للقــربى نهيب بالعــم الــوارث أن يعطى أولاد البنــت نصيبهم الذى يســتحقونه بمقتضى هذا القانون .



كيف تكون دراسة الفقه الإسلامي
النص النبوي ثابت مكين
حلم الصهاينة في عقد صلح مع العرب
أثر الخلق الإسلامي

كيف تكون دراسة الفقه الاسلامى

نشرت مجلة النجف مقالا تحت عنوان « القانون المدنى » ننقل منه هذه الفقرة :

الأساس فى هذه الدراسة أن تكون دراسة مقارنة فيدرس الفقه الاسلامى فى ضوء القانون المقارن . ويعنى فى هذه الدراسة بأمرين جوهريين . (أولهما) أن تدرس نشأة الفقه الاسلامى دراسة دقيقة ، فيبحث كيف تكون هذا الفقه على مر الزمن ، وكيف تطور وبخاصة فى العصور التى سبقت عصر المذاهب الكبرى الاربعة . (والامر الثانى) أن تدرس مذاهب الفقه الاسلامى المختلفة ، السنى والشيعى والخارجي والظاهرى وغير ذلك من المذاهب ، دراسة مقارنة لتستخلص منها وجوه النظر المختلفة ، ولتتركز هذه الوجوه فى تيارات التفكير القانونى . ثم تتبلور فى اتجاهات عامة ، وتستكشف من وراء كل هذا قواعد الصناعة الفقهية الاسلامية . ثم تقارن هذه الصناعة بصناعة الفقه الغربى الحديث ، حتى يتضح ما بينهما من الفروق ووجوه الشبه ، وحتى نرى أين وقف الفقه الاسلامى لا فى قواعده الاساسية ومبادئه ، بل فى أحكامه التفصيلية وفى تفريعاته ، فتمتد يد التطور الى هذه التفصيلات على أسس تقوم على ذات الفقه الاسلامى وطرق صياغته وأساليب منطقه . وحيث يحتاج الفقه الاسلامى الى التطور يتطور ، وحيث يستطيع أن يجارى مدنية العصر يبقى على حاله دون تغيير ، وهو فى الحالين فقه اسلامى خالص لم تداخله عوامل أجنبية فتخرجه عن أصله .

ومن ثم تكون موضوعات البحث الاساسية فى دراسة الفقه الاسلامى هى (١) تاريخ الفقه الاسلامى، وبخاصة قبل عصر المذاهب . (٢) أصول الفقه الاسلامى ، على أن يعاد البحث فى النظرة التقليدية لهذه الأصول . (٣) مقارنة مذاهب الفقه الاسلامى المختلفة فيما بينها . (٤) مقارنة الفقه الاسلامى بالقوانين الغربية الحديثة .

ولا بد لهذه الدراسة من معهد خاص يتوفر على الأسباب اللازمة لنجاحها من أساتذة يتخصصون لها ، ومراجع يستعان بها ، وطلاب يتفرغون لهذه الدراسة .

النص النبوى ثابت مكين

وجاء فى مقال نشرته مجلة رابطة العالم الاسلامى تحت هذا العنوان :

ان امية العرب قد وجهتهم الى الاهتمام بالحفظ ، فقويت الذاكرة لديهم قوة خارقة كما ضربوا لذلك بعض الأمثلة من المشاهد الملموس ، فالاعمى أقوى حفظا من البصير اذ جعل كل اعتماده على الحفظ ، أما البصير فان ركونه الى الكتاب مما يضعف ذاكرته عن غيره ، وقد ساعد العرب على تقوية ملكة الحفظ لديهم طبيعة جوهم وبساطة معيشتهم وسعة خبرتهم بأساليب لسانهم وطرق بيانهم ، فاذا أضيف الى ذلك شدة تعلق الصحابة بآثار رسول الله كان انتباههم الى استيفاء احاديثه أقوى وأشد . ومن علم أن أبا زرعة وأحمد

ابن حنبل والبخارى كانوا يحفظون آلاف الاحاديث بأسانيدها لا يستكثر أن يحفظ أبو هريرة وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعائشة أكثر ما سمعوه عن رسول الله دون اسناد ! فاذا وجدت الصحف المكتوبة وأسعفت الحافظة القوية ، وتفرغ الملأ الكثير لرواية الحديث ، فلن يهى منه مر السنين كما يدعون ! على أننا نعرض هذا النص الحاسم على الذين يستكثرون ورود الآلاف من الاحاديث عن رسول الله ، ويرجفون بروايتها مهولين « قال أبو زرعة الرازى ، فى جواب من قال له . أليس يقال . حديث النبى صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف حديث ومن قال ذا غير زنديق ، ! ومن يحص حديث رسول الله لقد قبض صلى الله عليه وسلم والمسلمون مائة ألف وأربعة آلاف من الصحابة ممن روى عنه ومن سمع منه ، وهم أهل المدينة وأهل مكة ومن بينهما من الأعراب ، ومن شهد معه حجة الوداع كل رآه وسمع منه بعرفة ، وقال الرافعى قبض رسول الله والمسلمون ستون ألفا ثلاثون ألفا بالمدينة وثلاثون ألفا فى قبائل « العرب » ننقل هذين النصين لنقول انه على افتراض كون المسلمين ستين ألفا فقط عند وفاة الرسول ، وجلهم قد حدثه وسمعه وروى عنه أفيكون ما لدينا من حديثه عنهم من الكثرة بحيث نظن به الظنون دون تدليل .

حلم الصهاينة فى عقد صلح مع العرب

وطالعتنا « فلسطين » التى تصدر عن وزارة الارشاد والانباء الكويتية بكلمة تحت هذا العنوان جاء فيها .

لا يزال بعض المسئولين الصهاينة يحلمون بامكانية عقد صلح مشترك دائم مع جيرانهم العرب — على حد زعمهم — وقد صرح أبا ايبان ، وزير خارجية دولة المعتدين ، بأنه من الممكن اقامة علاقات ودية مع العرب اذا استطاع اليهود والعصابات الصهيونية — عن طريق الدعايات السلمية — اخراج مشروعات الصلح من حيز الكلام الى حيز العمل .

وأكد هذا اليهودى أن الوقت قد حان .. لتبنى سياسة جديدة ، عن طريق التودد والتقرب الى الدول المجاورة ، بدلا من القيام بالعمليات العسكرية الانتقامية على الحدود ، ويرى ايبان أن دولة الصهاينة لم تقم — بعد — بخطوات صحيحة لنشر خطة السلام .

السلام عن طريق الاعتداء والغدر

وبينما يعيش هذا الصهيونى فى أحلامه يتحدث عن خطة السلام .. نجد العصابات الصهيونية تقوم بسياستها الطبيعية ، سياسة الاعتداء والغدر والعدوان الآثم .

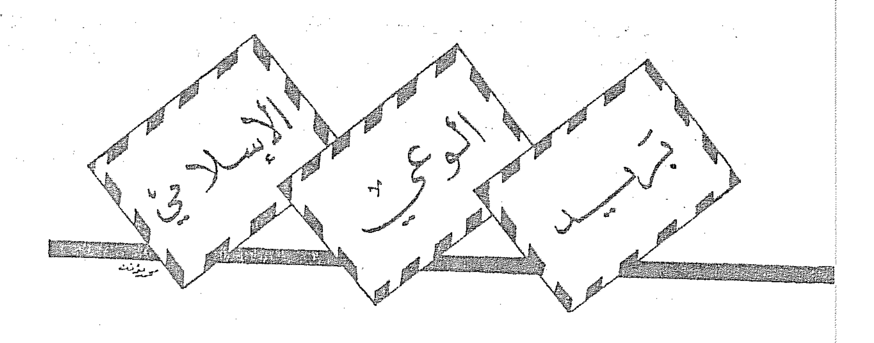
ومع هذا الشعور العدائي ، يتخلى وزيرهم عن أفكار الصلح التى وعد بتطبيقها ، ويخيب أمل تلك الجماهير التى علقت الامل على تصريحاته الخيالية ، اعتقادا منها أن الوقت قد حان لينقذوا أنفسهم من العيش فى جو متكهرب بالعداء ، ومفعم بالخوف والرعب الذى بدأ يسمم الجو النفسى والفكرى .

ويعتقد المسئولون أن اجراء مباحثات الصلح تمهد لهم الطريق لانقاذ دولتهم المنهارة مما يهددها من رياح عاصفة بسبب الأزمة الاقتصادية التى توشك أن تطيح بهم معها .. وفرار المهاجرين بسبب الانكماش المالى واتساع الفرق فى مستوى المعيشة بين اسرائيل وبين الوطن الاصلى للمهاجرين الجديد يزيد من المشاكل الاقتصادية المعقدة .

أثر الخلق الاسلامى

ونشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية مقالا تحت هذا العنوان جاء فيه :

فى ترجمة البخارى رحمه الله أنه كانت له تجارة يبيعها بالجملة للتجار ، فجاءه تاجر مرة عند المساء ، ورغب اليه أن يشترى منه صفقة ودفع له فيها مبلغا معينا ، فطلب البخارى أكثر من ذلك ثم افترقا ، تندم البخارى على أنه لم يبع الصفقة بما دفع له ذلك التاجر من ثمنها ، وتمنى أن يعود ليوافق على بيعها بالسعر الذى حدده التاجر ، ولكن التاجر عاد اليه فى اليوم راضيا أن يشترى الصفقة بما طلب البخارى فيها ، واذا البخارى يقول له : بل أبيعكها بالسعر الذى دفعته بالأمس « أى بانقص كثيرا مما دفعه التاجر اليوم » فعجب التاجر وقال : بالأمس رفضت أن تبيعنيها بالثمن الذى تطلبه انت اليوم ، فاجابه الامام البخارى رحمه الله . بالأمس بعد أن غادرتني ندمت على أنه لم ابعها لك بما دفعت فيها من ثمن ، ونويت فى نفسي أنك لو عدت حينئذ لبعتكها بما دفعت ثم لم تعد ، وانى لاخجل من ربى أن أنكث عهدا عزمت عليه ، وأن أنقص ما نويت فخذها بارك الله بك .



• الحروف في أوائل السور لا يتعلق بها أحكام
• الحديث القدسي ليس قرآناً منزلاً

١ ـ اختلف علماء تفسير القرآن الكريم فى بيان معانى الأحرف التي تبدأ بها بعض سور القرآن مثل (ألم • ألر • ألمص • كهيعص • طسم • حم • ص) فقال البعض انها أسماء الله تعالى ، بينما قال الآخرون انها أسماء لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وذهب فريق ثالث الى أنها أحرف لا يعلم كنهها الا الله عز شأنه • فهل تتفضلون بتوضيح آراء العلماء فى ذلك ، وترجيح رأى على رأى •

٢ ـ كثيرا ما نسمع عن الحديث القدسى أنه كلام الله • يستشهد به فى كثير من المواقف الدينية ، فهل هو كلام الله ولفظه من عند الله ؟ واذا كان كذلك فلماذا لم يجمع مع القرآن الكريم ؟ ثم ما كيفية نزوله على النبى •

« محمد سالم الدقيل ـ حضرموت/المكلا ـ ص ب ٢٨١ »

افتتحت بعض سور القرآن الكريم بأحرف مقطعة من حروف المعجم ، وهذه الأحرف المقطعة التي بدئت بها هذه السور أنواع : منها ما هو ذو حرف واحد مثل (ص.ن.ق) ، ومنها ما هو ذو حرفين مثل (حم.طس) ومنها ذو ثلاثة أحرف أو أكثر مثل (ألم.المص.كهيعص.حمعسق) • وجميع السور المبدوءة بهذه الأحرف مكية ما عدا سورتى البقرة وآل عمران •

وهذا أسلوب جديد فى العربية لم يألفه العرب من قبل ، ولم يصح عن الرسول صلى الله عليه وسلم بيان المراد من هذه الأحرف ، ولهذا ذهب فريق من العلماء الى انها مما استأثر الله تعالى بعلمه ، فلم يصل أحد الى معرفة المراد منها ، وأوردوا من أقوال كبار الصحابة ما يؤيد وجهة نظرهم كقول أبى بكر الصديق رضى الله عنه :

(فى كل كتاب سر ، وسر القرآن أوائل السـور) وقول علي كرم الله وجهه (ان لكل كتاب صفوة ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى) .

وفريق آخر من العلماء لم يرتض هذا الرأى ، وأنكر أن يكون فى كتاب الله تعالى ما ليس مفهوما ، وان هذا يتنافى مع ما وصف به القرآن الكريم من أنه نزل بلسـان عربى مبين .

وقد اختلف هذا الفريق فى بيان المعانى المرادة من هذه الأحرف ، فقيل : ان المراد بها الدلالة على أنها أسماء للسور التي بدئت بها ، وقيل : انها رموز لبعض أسماء الله تعالى وصفاته ، فقوله سبحانه : (ألم) معناه : (أنا الله أعلم) ، وقيل : انها أقسـام أقسم الله بها . وقيل : انهـا تسكيت للكفار لأن المشركين كانوا تواصـوا فيما بينهم ألا يستمعوا لهذا القرآن وأن يلغوا فيه ، فأنزل الله تعالى هذه الأحرف فى مفتتح بعض السور حتى اذا سمعوا شيئا غريبا استمعوا اليه ، وتفكروا فيه ، واشتغلوا به .

وقد اختار كثير من العلماء القول بأنها نزلت للتنبيه على أن القرآن ليس الا من هذه الحروف التي عرفها العرب ، وألفوها فى كلامهم ، وهم قادرون عليها ، فلم يكن من حيث لغته ومادته التي يتكون منها غريبا عليهم ، فهى بمثابة اعلان التحدى الرمزى بعد أن تحداهم القرآن صراحة بأن يأتوا بمثل هذا القرآن ، أو بعشر سور مثله ، أو بسورة واحدة ، فعجزوا ــ ولو كان ــ من عند غير الله لاستطاعوا أن ينفوا عن أنفسهم العجز بالاتيان بمثله . وهذا الرأى هو الذى نميل اليه .

واذا تتبعنا السور التي بدئت بهذه الأحرف وجدنا أنها فى الأعم الاغلب جاء فيها بعد هذه الأحرف ما يشير صراحة الى هـذا الكتاب الكريم وعلو شـأنه قال تعالى : « ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه » ، « المص . كتاب أنزلناه اليك » ، « ألر . كتاب أحكمت آياته » ، « طسم . تلك آيات الكتاب المبين » ، « حم . تنزيل الكتاب من اللـه العزيز العليم » ، « ق . والقرآن المجيد » الخ . . مما يدل على أن هذه الأحرف لها صلة باثبات أن الكتاب الكريم من عند الله .

أما ما طلب السائل الكريم الاجابة عنه فيما يتعلق بالأحاديث القدسية ، فنبادر الى القول بأن الحديث القدسى ليس قرآنا باجماع المسلمين ، ولهذا لم يجمع معه ، ولم يضم اليه .

وقد ذهب المحققون الى أنه حديث لفظه من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعناه من عند الله بالهام أو بمنام ، قال ابو البقاء فى كلياته ص (٢٨٨) : « أن القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحى جلى ، وأما الحديث القدسى فهو ما كان لفظه من عند الرسول ومعناه من عند الله بالالهام أو بالمنام » . ورؤيا الانبياء حق .

وقد تميز عن الحديث النبوى بهذه التسمية ، فنسب الى القدس لأن الرسول الكريم يحكيه عن رب العالمين عز وجل .

والأحاديث القدسية كثيرة متفرقة فى كتب السنة الصحيحة ، وقد جمعت مع الأحاديث الصحيحة ومنها ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله عز وجل « يا عبادى : انى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا . . . » .



بلال الحبشي المؤذن الأول في الإسلام

الأستاذ حسن الأمين من بيروت ينشر فى هذه الكلمة صفحات مطوية من تاريخ المؤذن الأول فى الاسلام فيقول :

ولادة بـلال

المرأة السوداء التي ولدت بلالا لم يكن يهمها أن تعنى بتسجيل تاريخ ولادته ، والرجل الزنجى الذى جاءه هذا الصبى لم يكن هو أيضا يهمه هذا التسجيل . ولا واحدا من أقرباء هذا الطفل كان يفكر فى أن يكتب على ورقة . اليوم والشهر والسنة التي أطل فيها المولود الجديد على الدنيا .

ولماذا يفكر واحد من هؤلاء بذلك ؟ وأى شأن لمولود افريقى اسود فى ذلك الزمن يستحق أن يؤرخ يوم مولده ؟ . وأى مستقبل ينتظره غير العبودية والاضطهاد ؟ . فلماذا اذن يؤرخون أيام ولادات مواليدهم سواء أكانوا ذكورا أم اناثا ؟ .

وأكبر الظن أن غاية ما كانت تتمناه أم بلال لوليدها الجديد هو أن يرحمه الله فلا يسلط عليه فى المستقبل سيدا قاسي القلب فظ الطباع يرهقه من أمره عسرا ، وان يزيد الله رحمته فيجعل سيده على شيء من الانسانية فيقل من تعذيبه ، ويقل من اضطهاده ، ويقل من ارهاقه . وأما فوق ذلك فلم تكن أم بلال وأبو بلال يرجوان لطفلهما أى شيء ، اذ أن هذا كان غاية ما يطمح اليه الاسود فى ذلك العصر .

وما يدرينا أية حياة كانت تحياها أم بلال وكان يحياها أبو بلال ، فقد كان كل واحد منهما عبدا عند سيد من البيض ، ولكن ماذا كانت طباع كل من سيديهما ؟ او بالأحرى من ساداتهما ، اذ أن كلا منهما قد تنقل من سيد الى آخر ، وظل يتنقل حتى آل الأمر بهما الى أن تلد أم بلال ولدها بلالا . ولا شك أن كل واحد منهما قد كابد أشق الاعباء ، وعانى أشد الاضطهاد ، وتحمل شر أنواع الذل والمهانة وهو يباع من سيد الى آخر . لذلك نستطيع أن نتصور مدى أمانيهما لولدهما الجديد ، وان ندرك أن غاية ما كانا يرجوان له من الخير هو أن يكابد اقل مما كابدا ، وان يصادف فى طريقه الطويل أقل مما صادفا .

ومن هنا كان لا يعنيهما أن يؤرخا يوم ولادته فظل هذا التاريخ مجهولا لدينا لا نعرفه عنه الا بالظن والتخمين ، فكل الذين كتبوا تاريخ حياته لم يشيروا ابدا الى تاريخ اليوم الذى ولد فيه ، وانما أشاروا الى تاريخ وفاته ، فاختلفوا فى تقدير سنه عند وفاته فقال بعضهم : انه توفى وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقال آخرون : بل توفى وهو ابن سبعين سنة (١) وهذا الاختلاف يعود الى أن كلا من الفريقين كان يقدر سنه تقديرا ، وبلغ الاختلاف فى التقدير سبع سنين .

مكان ولادته

وكما أن المؤرخين لم يشيروا الى تاريخ ولادته فهم كذلك لم يشيروا الى مكان ولادته وهذا طبيعي ايضا ، فلم يكن أحد ليعنى بالمكان الذى ولد فيه أسود ابن أسودين وعبد ابن عبدين ، ولم يكن امره فى هذا الا أمر ملايين السود الذين كانوا يولودون فى كل يوم ، فلا تثير ولادة أحد منهم أقل انتباه ! .

أصـــل بلال

بلال هو أفريقي الأصل ، حبشي الأب ، أسود العنصر ، ويفهم مما ذكره المؤرخ ابن الأثير فى كتابه (الكامل) ان أباه هو الذى اختطف من الحبشة وكذلك أمه اختطفت من هناك وان بلالا ولد بعد ذلك فى بلاد العرب من أبوين عبدين ، فكان مثلهما عبدا .

ولم يذكر ابن الأثير تفاصيل اختطاف أبويه وانما اكتفى بأن قال : « كان أبوه من سبى الحبشة وأمه سبية أيضا » .

واستعمال كلمة (السبى) يدل على أن أباه اختطف صغيرا لأن كلمة السبى تستعمل فى أخذ النساء والأطفال . أما أخذ الرجال فتستعمل له كلمة (أسر) . والأصل فى الكلمتين أن تستعملا حال الحرب . وقد استعملنا هنا فى (الخطف) لأنه ليس من المعقول أن يكون الاستيلاء على والد بلال وعلى أمه نتيجة حرب بين أحد وبين الاحباش ، بل أن الامر كان يجرى على ما عرف من استعمال الحيل ومختلف الاساليب فى اختطاف السود من أفريقيا وسوقهم الى بلاد البيض وبيعهم عبيدا أرقاء . وهذا ما جرى على والد بلال وأمه ، اذ اختطفا صغيرين ، وظلت الأرض تتقاذفهما حتى وصلا الى جزيرة العرب ويبدو كذلك من عبارة ابن الأثير أن مولده كان فى السراة ، كما ورد فى غيره أنه ولد فى غيرها ، وايا كان مولده فقد ظل يباع حتى وصل الى أمية بن خلف الجمحى فأستقر عنده فى العبودية ، وظل هكذا حتى ظهر الاسلام .

على أن المؤرخ ابن عساكر ذكر ما يفهم منه أن بلالا كان عبدا لعبد الله بن جدعان لا لأمية بن خلف ، فقد روى أن بلالا بعد اسلامه دخل يوما الكعبة فالتفت فلم ير أحدا فأتى الاصنام ، وجعل يبصق عليها ويقول : « خاب وخسر من عبدكن » ، فطلبته قريش فهرب حتى دخل دار سيده عبد الله بن جدعان فاختفى فيها . فلحقه القرشيون الى الدار فسلمه عبد الله لابى جهل وأمية بن خلف فخرجا به الـى البطحاء ، وجعلا يبسطانه على الرمال الحامية ويعذبانه .

الحُـريّـة

ويتحدث فضيلة الشيخ محمد عبد الرحمن الخطيب مفتى محافظـة الكـرك بالأردن عن الحرية فيقول :

الحرية ثمرة الحياة وتاج السعادة وزهرة هذا الوجود ، بها يكون الانسان انسانا فاذا فقدها فهو والحيوان سواء ، تسخره القوة ، وتلعب به الأهواء ــ ولا يعرف الله غير حر .

---

(١) الاستيعاب

فالموحدون هم الأحرار ، وان شئت فقل ان الأحرار هم الموحدون فالحرية هى التحلل من قيود الرق البشرى وتمزيق لفائف العبودية لغير الله الواحد الأحد .

على ضوء هذا يجب أن تفهم الحرية البريئة الصحيحة ، ولكن بعض الناس أخطأوا فهم الحرية واختلط عليهم الامر ، فناقضوا الحق مناقضة صريحة . فهموا الحرية على أنها تحلل من قيود الأدب وتجاوز لحدود الفضيلة و ...

فهذه امرأة سافرة كشفت عن ساقيها وذراعيها وتبرعت للناس بعرض جمالها ، وغشيت محافل الرقص طروبة خليعة رغم أنف الآباء والازواج لأنها تتحصن بالحرية المكفولة للأفراد والجماعات فى ظل القوانين الوضعية ، وهذا شاب مائع يقامر بماله ، ويقامر بدينه ، فالحرية عنده يحدها شمالا هتك الأعراض واباحة الفساد ، وجنوبا الاستهتار بالدين والاعتقاد بأن التمسك به تأخر وجمود ، وشرقا بالخنوثة والالحاد والطيش وغربا تقليد الغرب فيما يضر من اباحية واستهتار وترك ما ينفع من حب الوطن واعداد السواعد القوية السليمة والعدة الدفاعية .

وهذا شيخ جرب بالتجارب فخرج من مدرسة الحياة الطويلة بارعا فى النفاق والغش يستطيع أن يحيك الاجرام محبوك الطرفين بخيوط الدهاء مدهونة بصبغة الكذب واللؤم ، وذاك عالم قعد به الكسل ، واستمرأ الدعة فقال عليك نفسك والزم بيتك فترك الجهاد وأهمل واجبه نحو المجتمع ، وقل ذلك عن التاجر الجشع والصانع الغشاش والسياسي المتلون والفنى البطر والفقير المتلصص .

بل قل ذلك فيما تقوم به بعض الجماعات من أعمال تحت ستار الحرية الزائفة والحرية بريئة من كل هذا ، وهى كما قلنا تحلل من قيود العبودية لغير الله - والعبودية المطلقة لله تعالى ، ولا تتحقق هذه العبودية الا بالتزام ما سن القرآن من آداب ، وما شرع من حدود فى المال والعرض والدم والمعاملة - وبذلك فقط تسعد البشرية وتسمو الأمة وينتظم تشريعها وتحقق العدالة الصحيحة للفرد والجماعة ، وكان القرآن الكريم حين قال ((يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم)) كأنه يشير الى دستور الحياة الصحيحة النافعة ، الا فليفهم ذلك رجل الدين ورجل المال ورجل السياسة ورجل الاصلاح ، والسلام على من اتبع الهدى واستظل براية الاسلام .

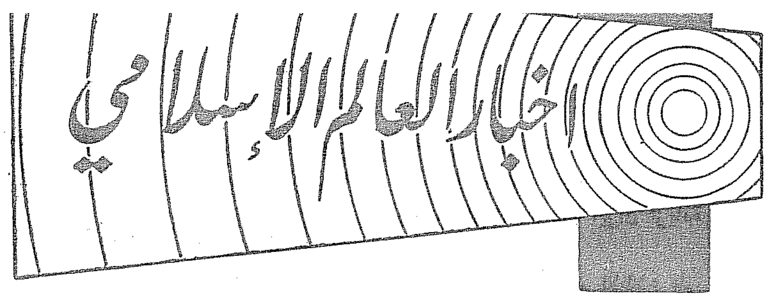
الإسلام والرياضة البدنية

وأرسل الاستاذ محمد الهادى السيد اسماعيل المدرس بمدرسة الدعية الثانوية بالكويت قصيدة تحت هذا العنوان جاء فيها :

ابنى الشباب رياضة الأبدان ... ان الشباب ذخيرة الأوطان
ابنى سواعد للكويت قوية ... فلكم تحن لذلك البنيان
ولئن فعلت فقد بنيت عقولهم ... والعقل فى الأجسام كالميزان
ما أنت بنت اليوم محدثة لنا ... انى أراك وليدة الأزمان
لولا دواء فيك للولدان ما ... حث النبى عليك للولدان
ما أنت بنت حضارة وتمدن ... بل أنت بنت شريعة الرحمن

***

أحيوا الرياضة يا شباب فانها ... تحييكمو فى عالم الوجدان
ان طاف شيطان بوقت فراغكم ... فهى الرياضة قاهر الشيطان
انى لأكبر فيكمو ايحاءها ... وأجل ما تحوى من الألوان



الكويت

افتتح سمو أمير البلاد المعظم مجلس الامة الجديد فى السابع من فبراير والقى سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الخطاب الأميرى .

زار جلالة الملك الحسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية البلاد بدعوة من أخيه حضرة صاحب السمو الامير المعظم ، وقد استغرقت الزيارة اربعة ايام تفقد فيها جلالة الزائر الكريم معالم النهضة فى البلاد .

أدلى سمو الشيخ جابر الأحمد الجابر ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء بتصريح لاحدى المجلات اللبنانية جاء فيه :

أن القيادة العربية الموحدة هى من المنجزات الكبيرة التي استطاعت مؤتمرات القمة تحقيقها ونرجو مخلصين ألا تؤثر عليها الخلافات الطارئة لتكون لهـا فعاليتها المطلوبة .

تلقى معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية عدة كتب من جمعيات اسلامية فى لبنـان والاردن للمساهمة فى اقامة بعض المساجد والمنشآت الخيرية .

سيبدأ هذا الشهر الموسم الثقافي الذى تعده وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية وتدعو اليه كبار المحاضرين الاسلاميين كعادتها كل عام ...

قرر مجلس الوزراء التبرع بمبلغ ألف دولار سنويا للبيت العربى الاسبانى لتمكينه من تعزيز العلاقات بين اسبانيا والعالم العربى .

حولت الجهات المختصة مبلغ (٤٠) ألف دينار للمشاركة فى تعمير قرية السموع التي خربها العدوان الصهيوني فى شهر نوفمبر ١٩٦٦

سينعقد مؤتمر منظمة المدن العربية فى الكويت فى الفترة ما بين ١١ و ١٥ من مارس القادم .

وصل من المغرب مهندسان من ذوى الخبرة الواسعة فى بناء المساجد على الطراز الاندلسي للاشراف على بناء مسجد الدولة الكبير .

الجمهورية العربية المتحدة

يقوم وفد اسلامى بزيارة البلاد الاسلامية فى منطقة جنوب شرق آسيا : الفلبين ، تايلاند ، ماليزيا ، اندونيسيا . للتعرف على أحوال المسلمين هناك وأهدى للمراكز الاسلامية عشرات الآلاف من الكتب .

طلبت حكومة ماليزيا من الوفد الاسلامي الذى زارها دراسة نظام التعليم فى المدارس الاسلامية وايفاد مدرسين مصريين للعمل بهذه المدارس .

تبدأ جمعيات المحافظة على القرآن الكريم فى اخراج مصاحف جديدة تباع بسعر التكلفة كما ستبدأ لجان من العلماء المسلمين فى تفسير مبسط للقرآن الكريم .

تقرر عقد المؤتمر الثقافى العربى السابع بمقر الامانة العامة للجامعة العربية فى القاهرة فى الفترة ما بين ٦ و ١٤ مارس القادم .

تم هذا العام انشاء واستكمال عدد كبير من المساجد والوحدات الاجتماعية والمعاهد الدينية والكليات الجامعية الازهرية وتبلغ تكاليفها (٣) ملايين ، و ٤٨٩ الف جنيه .

السعودية

سيقوم جلالة الملك فيصل بزيارة اندونيسيا خلال الاشهر القادمة بدعوة من الرئيس سوكارنو كما سيقوم جلالته بجولة فى بلدان جنوب شرق آسيا .

ويقوم الشيخ محمد عمر وزير المواصلات ووزير الحج والاوقاف بالوكالة بزيارة ايران لزيادة التعاون بين البلدين وتنظيم الاوقاف وتسهيل زيارة الحجاج الايرانيين للاماكن المقدسة .

وجهت جامعة الملك عبد العزيز الاهلية بجدة الدعوة الى البروفيسور ابو بكر حليم للاطلاع على المراحل التي مرت بها الجامعة والبروفيسور من كبار خبراء التعليم الجامعي وهو مؤسس جامعة السند وكان مديرا لجامعة كراتشى .

تجرى الاستعدادات على قدم وساق لوضع برنامج صحى شامل لموسم الحج .

الجمهورية العراقية

قام الرئيس عارف بزيارة للجمهورية العربية المتحدة فى السابع من شهر فبراير بدعوة من أخيه الرئيس جمال عبد الناصر واستغرقت الزيارة خمسة أيام .

وصل الى بغداد فى أواخر يناير الماضى وفد عسكرى كويتي برئاسة سعادة الشيخ سعد العبد الله السالم وزير الداخلية والدفاع .

الاردن

وضعت الترتيبات اللازمة لسفر الحجاج الاردنيين وستتخذ الحكومة كفالات مالية على الشركات التي ترغب فى نقل الحجاج ضمانا لراحتهم .

لبنـــان

قدمت الى لبنان وفود اسلامية لتهنئة الشيخ حسن خالد المفتى الجديد بمنصبه الجديد من بينها وفد من كبار علماء الازهر ومن سوريا وقد أشاد سماحته وفخامة رئيس الوزراء بدور الازهر فى رعايـة الرسالة الاسلامية .

وصل وفد طلابى من ابناء الجالية العربية فى شيلى الى لبنان فى جولته التي يقوم فيها بزيارة البلاد العربية : زار حتى الآن الجمهورية العربية المتحدة وسوريا .

السودان

أعلن الامام الهادى المهدى زعيم طائفة الانصار وراعى حزب الامة السودانى انه سينفذ الدستور الاسلامى اذا فشل نواب الجمعية التأسيسية فى اقراره عند عرضه عليها .

انعقد فى الخرطوم المؤتمر الطبي العربى السادس وقد اتخذ المؤتمر عدة قرارات وتوصيات . منها انشاء كلية للدراسة الطبية العليا وعمل دستور عربى موحد للادوية وتنظيم تداولها فى البلاد العربية .

الهند

طرح المعهد الهندى للدراسات الاسلامية بنيودلهـى مسـابقة لتأليـف كتاب عـن فلسفة الاســلام الاقتصاديــة .

ليبيــا

احتفلت ليبيا بعيد استقلالها الخامس عشر .

باكســتان

يقوم معهد البحوث الاسلامية بالباكستان بعمل مرجع رئيسى فى الشريعة الاسلامية .

تركيــا

صرح رئيس الغرفة التجارية التركية بأن (٣٥) شركـة تجاريـة قطعت كل علاقاتها مع اسرائيل وان تركيا رفضت اقامة غرفة تجارية مشتركة بين تركيا واسرائيل فى أزمير .

أوغندا : طردت اوغندا عشرة من الكهان لايوائهم بعض المتمردين من جنوب السودان .

مكتبة المجلة

طريق النصر فى معركة الثأر

بقلم اللـواء الركـن محمود شـيت خطاب . ويحتوى الكتاب على « ٤٩٥ » صفحة مزودة بالخرائط الملونة . وهو دراسة عملية واعية لايضـاح الطريـق السوى الذى يقود العرب الى النصر ، ويستثير الهمم لاستعادة الحق المغتصب فى أرض فلسطين .

وطبع الكتاب فى مطابـع دار لبنـان للطباعة والنشر صب (٥٦٢٠) بيروت ، وثمنه « ٦٠٠ » ق.ل .

دراسة فى فكر منحل

كتاب يقع فى (٢٢٠) صفحة وهو من تأليف الأستاذ محمد جـلال كشـك ، ويتعرض لنماذج من الفكر المنحل الذى يروجه أعداء العروبة والاسلام. والكتاب طبع فى مطبعـة الجبـل بلبنان وقامت بنشره مكتبة الأمل بالسالمية ـ الكويت .

فوائد قرآنية

للأستاذ أحمد خيرى وهو الكتاب الخامس عشر من سلسلة المطبوعات التي تصـدرها دار نشر الثقافة بالاسكندريـة للمؤلف ويقـع الكتاب فى (١٢٢) صـفحة ويتناول سور القرآن وبيان ترتيب نزولها وتقسيمها وما ورد فى القرآن من أعلام وأسماء وتراجم القراء الأربعة عشر ورواتهم الثمانية والعشرين ، وغير ذلك من الفوائد المتعلقة بالقرآن الكريـم .

من وحى الكويت فى عشرين عاماً

ديوان للشاعر أحمد عنبر أصدرته مطبعة مقهوى بالكويت فى كتاب يحتوى على (٣٢٠) صفحة ، وقد قسمه مؤلفه الى ثلاثة أقسام خص القسم الأول منها بالقصائد ورتبها ترتيبا زمنيا تصاعديا من القديم الى الحديث أى من أول عهده بالكويت حتى الآن .

والقسم الثانى خصه للجد والهزل ورتبه مثل الأول .

والقسم الثالث والأخير خاص بالأناشـيد والتمثيليات .

ومعظم ما ورد فى هذا الديوان كان قد نشره مؤلفه فى الصحف أو ألقاه فى مناسبات عامة أو خاصة .

قادة فتح المغرب العربى

تأليف اللواء الركـن محمود شـيت خطـاب وهو من سـلسلة كتب (قادة الفتح الاسلامي) ويحتوى على قصص القادة الذين فتحوا (المغـرب العربى) أمثال ابن أبى السرح وعقبة بن نافـع وأبو المهاجر دينـار وموسى بن نصـير وغيرهم ..

ومن خلال سير هؤلاء الأبطال يظهر لنا بوضوح كيف انتشرت العربية لغـة والاسلام دينا فى المغرب العـربى ... والكتاب يقع فى (٣٥٢) صفحة وقامت بطبعه ونشره (دار الفتح للطباعة والنشر) صب (٤٢٩٥) بـيروت / وثمنـه « ٦٠٠ ق.ل » .

الآثار الاسلامية التاريخية فى حلب

كتاب فى « ٤٠٠ » صفحة من تأليف الدكتور محمد أسعد طلس ، وهذا الكتاب معرب عن كتاب المؤرخ المستشرق الفرنسي الدكتور جان سوفاجة مضاف اليه معلومات جديدة ومعلقا عليه تعاليق مفيدة ، وهو مزود بأربعين لوحة تصويرية تبين وتوضح المعالم الأثرية الواردة فى الكتاب ، وقامت بطبعه مطبعة الترقى بدمشق لصالح مديريـة الآثار العامة فى سوريا .

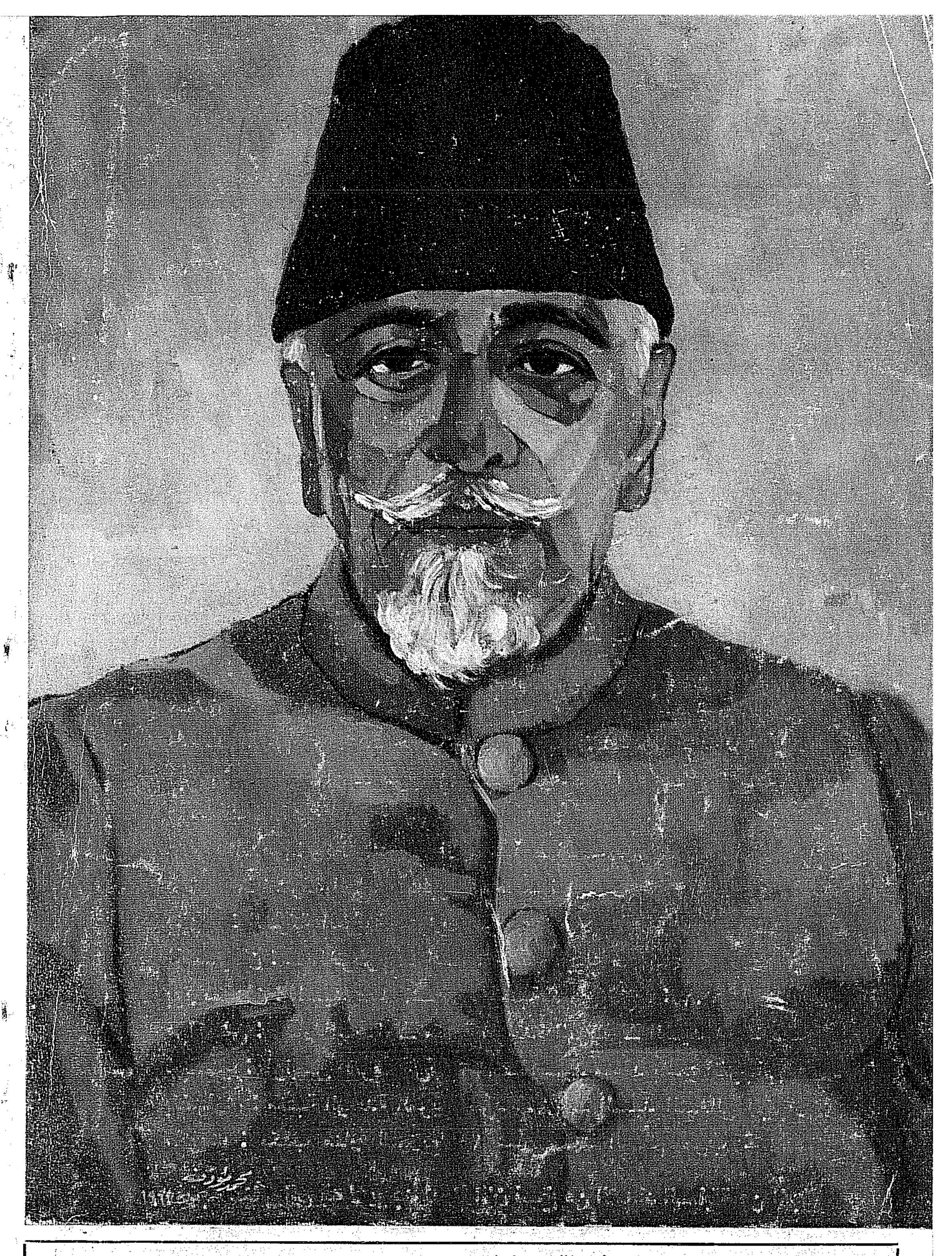
اقرأ فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبـول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ـ ٧ شارع الصحافـة
مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . صب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء
الريـاض : مكتبة المدينة ـ صب ١٩ ـ السيد احمد باصريح
الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ صب ٢٢
جـده : مكتبة الصلاح العالمية ـ عمارة البنك الاهلى صب ٦٣٥
بغـداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ صب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عـدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد
المـكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحـدودة
دبـى : ساحل عمان ـ صب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـة ـ السيد رجا العيسـى
دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات صب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨
السـودان : ـ الخرطوم ـ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤
بور سودان : السيد عطا المنـان . مكتبة كررى صب : ٣٠٣
مراكـش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى
ليبـيا : طرابلس الغرب صب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية صب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم صب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



مولانا أبو الكلام ازاد

((طالع مقال : العالم الثائر))

لوحة زيتية

بريشة : محمد مؤذن